الهبـــات

ابن عطاء الله السكندري

(ت ٧٠٩هـ)

مجموع به أربع رسائل

تحقيق وتعليق

دكتور

محمد غالب بركات

ابن عطاء الله الاسكندرى ، احمد بن محمد بن عبد الكريم
الهبات
ط ١ ، القاهرة : دار الآفاق العربية ٢٠١٤
112ص ، ٢٤ سم

١ - التصوف الاسلامي
٢ - الادعية و الاوراد
أ. العنوان ٢٦٠
تدمك: 978-977-344-242-2
رقم الإيداع :٢١١٩٧ /٢٠١٣
الطبعة الأولى
١٤٣٥/٢٠١٤ م

جميع الحقوق محفوظة
لدار الآفاق العربية
نشر – توزيع – طباعة
٥٥ شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : ٢٢٦١٧٣٣٩ -00202 تليفاكس : ٢٢٦١٠١٦٤ -00202
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com

دعـــاء

"اللهم إني أسألك حُسن الإقبال عليك، والإصغاء إليك، والفهم عنك، والبصيرة في أمرك، والنفاذ في طاعتك، والمواظبة على إرادتك، والمبادرة في خدمتك، وحُسن الأدب في معاملتك، وبرد التسليم إليك، والنظر إلى وجهك الكريم"

محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
▪ ترجمة بن عطاء الله.	٩
▪ أطوار حياته.	٩
▪ تلاميذه.	١٢
▪ مؤلفاته.	١٢
▪ نبذة عن المخطوط.	١٢
▪ مدخل إلى الدراسة.	16
▪ مقدمة.	16
▪ الصوفية والسلفية.	20
▪ العلم والعمل.	30
▪ العلم عند الصوفية.	35
▪ العلم والعمل في حديث الإحسان.	40
▪ العبادة غاية الذل بغاية المحبة.	46
▪ الحب أعلى درجات العبادة.	49
▪ محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.	57
▪ النبوة والرسالة والولاية.	64
▪ الإيمان.	68
▪ التقوى.	69
▪ الهبات.	75
▪ دعاء فتح البصاير.	82
▪ الأوراد السبعة.	85

الموضوع	رقم الصفحة
▪ دعاء شريف مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم.	90
▪ دعاء مفتاح الصباح للنجاح.	92
▪ كيميا السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة.	94
▪ المصادر والمراجع.	106
▪ النشاط العلمي للمؤلف.	112

الهبـــات

ترجمة ابن عطاء الله السكندري:

أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله. الجذامي نسباً، المالكي مذهباً، الإسكندري داراً، القاهري مزاراً، لقب بتاج الدين، وكنيته أبو الفضل، وأبو العباس. وفد أجداده المنسوبون إلى قبيلة جذام إلى مصر بعد الفتح الإسلامي، واستوطنوا الإسكندرية، وهناك ولد بن عطاء وانتسب إليها، لذلك سُمِّي الإسكندري. توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة سبعمائة وتسع (٧٠٩هـ/١٣٠٩م).

أطوار حياته:

يقول التفتازاني: إن حياة "بن عطاء الله" يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أطوار، الأول:عندما كان بمدينة الإسكندرية، وكان ينكر على الصوفية إنكاراً شديداً تعصباً لعلوم الفقهاء([1]). الثاني: عندما زال إنكاره وتعصبه لأهل العلم الظاهر حين التقى بأبي العباس المرسي([2])، فأعجب به وأخذ عنه الطريق الصوفي، إلا أنه لم ينقطع عن العلوم الشرعية، بل

---

١ – تجدر الإشارة إلى أن ابن عطاء الله كان فقيهاً يشتغل بالعلوم الشرعية، حيث تلقى منذ صباه العلوم الشرعية واللغوية.

٢ – هو الإمام شهاب الدين أبو العباس احمد بن عمر بن علي الخزرجي الأنصاري المرسى البلنسي يتصل نسبه بالصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري –رضي الله عنه– سيد الخزرج و صاحب سقيفة بن ساعدة التي تمت فيها البيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة .. و كان جده الأعلى قيس بن سعد أميرا علي مصر من قبل الإمام علي كرم الله وجهه عام (٣٦هـ/٦٥٦م). ولد بمدينة مرسيه سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م. ونشأ بها وهي احدي مدن الأندلس و إليها نسب فقيل المرسى. تلقَّى أبو العباس المرسى التصوف على يد شيخه الصوفي الأشهر: أبى الحسن الشاذلي، الذي التقى به أبو العباس في تونس سنة ٦٤٠ هجرية، بعدما كان قد تزوَّد بعلوم عصره كالفقه والتفسير والحديث والمنطق والفلسفة، وجاء أوان دخوله في الطريق الصوفي. وفى سنة ٦٤٢ هجرية، وصل أبو العباس مع شيخه الشاذلي إلى الإسكندرية، واستقرا بحي كوم الدِّكة .. أمَّا الدروس العلمية والمجالس الصوفية، فقد اختار لها الشاذلي المسجدَ المعروف اليوم بجامع العطارين (وكان يُعرف وقتها بالجامع الغربى). وقد تولَّى أبو العباس مشيخة الطريقة الشاذلية بعد وفاة أبى الحسن الشاذلي (سنة ٦٥٦ هجرية) وكان عمره آنذاك أربعين سنة .. وظلَّ يحمل لواء العلم والتصوف حتى وفاته ٦٨٦ هجرية، بعد أن

أراد أن يجمع بين علم الظاهر وعلم الباطن. الثالث: عندما ترك الإسكندرية ورحل إلى القاهرة ليعمل بالتدريس والوعظ، فتولى التدريس بالجامع الأزهر، وتخرج على يديه جملة من الفقهاء مثل: الإمام "تقي الدين السبكي"(١) والد "تاج الدين السبكي" صاحب طبقات الشافعية الكبرى(٢)

ويذكر أن "بن عطاء الله" كان من المعارضين للصوفية وينكر عليهم، فيقول في كتابه "لطائف المنن": كنت لأمر الشيخ "أبي العباس" من المنكرين، لا لشيء سمعته منه، ولا لشيء صح نقله عنه، ولكن جرت المخاصمة بيني وبين أصحابه، ثم قلت في نفسي:دعني أذهب أنظر هذا الرجل، فصاحب الحق له أمارات، فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في درجات

قضى أربعةً وأربعين عاماً في الإسكندرية، سطع خلالها نجم الطريقة الشاذلية في الآفاق. دُفن أبو العباس في الموضع الذي يحتله اليوم مسجده الكبير بالإسكندرية .. وكان هذا الموضع وقت وفاته، جبانةً يُدفن فيها الأولياء. وقد أُقيم سنة ٧٠٦ هجرية بناءً على مدفنه؛ ليتَميَّز عن بقية القبور من حوله، فصار البناءُ مزاراً.. ثم صار مسجداً صغيراً بناه زين الدين القَطَّان، وأوقف عليه أوقافاً؛ وأُعيد بناء المسجد وتم ترميمه وتوسيعه سنة ١١٨٩ هجرية. وفى سنة ١٣٦٢ هجرية (=١٩٤٣م) أُعيد بناء مسجد أبى العباس المرسى، ليتخذ صورته الحالية التي صار اليوم عليها، وهو اليوم أكبر مساجد الإسكندرية. (راجع: دكتور يوسف زيدان: http://www.ziedan.com/index/14.asp).

١ – هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن مسوار بن سوار بن سليم السبكي. ولد في ثالث صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة. وتفقه في صغره على والده وكان من الاشتغال على جانب عظيم بحيث يستغرق غالب ليله وجميع نهاره. ثم لما دخل القاهرة بعد أن صار فاضلا تفقه على شافعي الزمان الفقيه نجم الدين ابن الرفعة، وقرأ الأصلين وسائر المعقولات على الإمام النظار علاء الدين الباجي، والمنطق والخلاف على سيف الدين البغدادي، والتفسير على الشيخ علم الدين العراقي، والقراءات على الشيخ تقي الدين ابن الصائغ، والفرائض على الشيخ عبد الله الغماري المالكي، وأخذ الحديث عن الحافظ شرف الدين الدمياطي ولازمه كثيرا، ثم لازم بعده وهو كبير إمام الفن الحافظ سعد الدين الحارثي، وأخذ النحو عن الشيخ ابن حيان، وصحب في التصوف الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله، وسمع بالإسكندرية من أبي الحسين يحيى بن أحمد بن عبد العزيز بن الصواب وعبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة ويحيى بن محمد بن عبد السلام، وبالقاهرة من علي بن نصر بن الصواف وعلي بن عيسى بن القيم وعلي بن محمد بن هارون الثعلبي والحافظ أبي محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي. ذكره الذهبي في المعجم المختص فقال: القاضي الإمام العلامة الفقيه المحدث الحافظ فخر العلماء تقي الدين أبو الحسن السبكي ثم المصري الشافعي.

٢ – أنظر: أبو الوفا التفتازاني: ابن عطاء الله السكندري وتصوفه. (ط٣). مكتبة الأنجلو المصرية.

السالكين إلى الله، ومدى معرفتهم به، وقربهم منه، فقال: الأول إسلام: وهو درجة الانقياد والطاعة والقيام بمراسم الشريعة. وثانيها الإيمان: وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية. وثالثها الإحسان: وهو مقام شهود الحق تعالى في القلب. وإن شئت قلت: الأول عبادة، والثاني عبودية، والثالث عبودة. وإن شئت قلت: الأول شريعة، والثاني حقيقة، والثالث تحقيق. فما زال يقول وإن شئت إلى أن بهر عقلي، فعلمت أن الرجل يغترف من فيض بحر إلهي ومدد رباني، فأذهب الله ما كان عندي. ثم عدت إليه مرة أخرى فتلقاني ببشاشة وإقبال، فكان أول ما قلت له: يا سيدي أنا والله أحبك في الله. فقال أحبك الله كما أحببتني. ثم شكوت له ما أجده من هموم وأحزان فقال: أحوال العبد أربع لا خامسة لها: النعمة والبلية والطاعة والمعصية. فإن كنت في النعمة فمقتضى الحق منك الشكر. وإن كنت في البلية فمقتضى الحق منك الصبر. وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك. وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار. فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم ثوباً نزعته.

اتخذ "ابن عطاء الله" لنفسه منذ البداية قضية بنى عليها مذهبه في التصوف، وهي أن الإنسان لا إرادة له في مواجهة إرادة الله التي تدبر الكون كله بما فيه الإنسان. فالسالك المريد في الطريق الصوفي ينبغي أن يكون مُسقطاً لإرادته وتدبيره إسقاطاً تاماً. ويتضح موقف ابن عطاء الله من هذه القضية في الكثير من أعماله مثل: الحكم العطائية، وكتابه التنوير في إسقاط التدبير. كذلك أراد أن يوفق بين العلوم الصوفية والعلوم الظاهرية، أي الشرعية، ومن هذه الناحية يعتبر "ابن عطاء" من أهم المشايخ للطريقة الشاذلية التي تميزت دائماً بموقف معتدل ومتوازن في هذه القضية التي أثارت مجادلات لا حصر لها بين الفقهاء والفقراء([1]).

١ – المراد من الفقراء الفناء في الله، فلا يبقى في نفسه لنفسه شيء، ولا يسع في قلبه غير الله. فإذا نظر أهل القربة إلى جماله فبعد ذلك لا يقبل نور أعينهم غير الله تعالى، ولا ينظرون إلى ما سوى الله تعالى بالمحبة، بل يكون محبوبهم ومطلوبهم هو الله تعالى في الدارين، ولا يقصدون غير الله تعالى؛ لأن الله تعالى خلق الإنسان لمعرفته ووصلته (الشيخ عبد القادر الجيلاني (٢٠٠٨). سر الأسرار ومظهر الأنوار. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ص ١٤٠–١٤٢ بتصرف)، وبهذه الحالة يصبح الإنسان في حالة روحية يشعر فيها أن ذاته من حيث هو محب قد غلبت عليها ذات محبوبه وهو الله. والفقير عند الصوفية ليس فقط هو من تمسك

وهذا مما يفسر الانتشار الواسع للطريقة الشاذلية في العالم الإسلامي([1]). يقول عنه الدكتور "عبد الحليم محمود" في تعليقه على شرح الحكم العطائية: ابن عطاء الله السكندري عالم جليل، جمع بين رئاسة علوم الشريعة وعلماء الشريعة، ورئاسة علوم الحقيقة وعلماء الحقيقة، فكان عالماً مستشرعاً متحققاً، بل رأُس علماء التشريع وعلماء التحقيق.([2])

تلاميذه:

ابن المبلق السكندري.

تقي الدين السبكي.

مؤلفاته:

لطائف المنن

التنوير في إسقاط التدبير

أصول مقدمات الوصول

القصد المجرد في معرفة الإسم المفرد

تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس

الطريق الجادة في نيل السعادة

عنوان التوفيق في آداب الطريق

مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح

الحكم العطائية.

بالحقائق ويئس مما في أيدي الخلائق، وليس هو من ترك الحاصل الفاني من أجل العوض الباقي، وإنما الفقير الحقيقي هو من ليس له عند الله حاجة من حاجات الدنيا، فهو مع الله لا يسأله شيئاً عملا بالحديث القدسي: "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين" (البخاري في التاريخ، والبيهقي في الشعب).

١ – جوزيبي سكاتولين و أحمد حسن أنور (٢٠١٢). التجليات الروحية في الإسلام: نصوص صوفية عبر التاريخ. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص٦٣٩.

٢ – أنظر حكم ابن عطاء الله. شرح الشيخ زروق. تحقيق عبد الحليم محمود. الناشر: مؤسسة دار الشعب، ١٩٨٥، ص٩.

نبذة عن المخطوط:

مخطوط رقم ٢٨٤٧ بمكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات. موجود تحت اسم: الهبات، لمؤلفه: "ابن عطاء الله السكندري". مجموع به أربع رسائل، وبه أوراد ودعاء للشيخ "عبد القادر الجيلاني"، ودعاء منسوب لسيدنا "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه. وإتماماً للفائدة أضفت إليه كيميا السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة، "لمحي الدين بن عبد الرحمن المقدسي".

والرسالة الأولى من المخطوط هي مناجاة، وقد أوردها "ابن عطاء الله" في نهاية كتابه: الحكم العطائية. والمناجاة هي ثناء على الله تعالى، وهي من أحسن العبادات وأجملها، وقد جاء في الحديث بأنه لا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى. روى أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن بن مسعود –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "لا أحد أغير من الله تعالى، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى، ولذلك مدح نفسه. ... الحديث". وأخرج الإمام أحمد والنسائي والحاكم عن الأسود بن سريع –رضي الله عنه– أنه قال: أتيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقلت: يا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: إني قد حمدت ربي تبارك وتعالى بمحامد ومدح، وإياك. فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أما إن ربك يحب المدح، هات ما امتدحت به ربك، وما امتدحتني به فدعه" فجعلت أنشده.

يقول "القشيري" في رسالته: "قال داود –عليه السلام–: إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك؟ فأوحى الله إليه الآن قد شكرني". ولا يبلغ الواصفون كُنه عظمته الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه خلقه. وقال الإمام "اليافعي" رحمه الله:

وشاكرها يحتاج شكراً لشكرها كذلك شكر الشكر يحتاج للشكر

وقال "بن عطاء الله" في الحكم: إذا أراد الله أن يُظهر فضله عليك، خلق ونسب إليك. ويصدق ذلك كله ما جاء في صحيح البخاري عن بن عمر –رضي الله عنه– قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: قال الله عز وجل: "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته

أفضل ما أعطي السائلين". على أن يكون الإخلاص لله عز وجل ولا يكون في ذلك الذكر أي شيء لغير الله تعالى، يقول الله تعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه"([1]).

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين، قال الله حمدني عبدي. وإذا قال الرحمن الرحيم، قال الله أثنى عليا عبدي. وإذا قال العبد مالك يوم الدين قال مجدني عبدي ... الحديث". ولعلك تلاحظ أن الله تعالى سمى سورة الفاتحة بسورة الصلاة،([2]) يقول "ابن كثير": سميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها. ولاحظ أيضاً أن النصف الأول من سورة الفاتحة ثناء على الله تعالى، إستمع إلى قول الله: "**الحمد لله**" فالله سبحانه وتعالى حميد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله. وليس بوسع عبد أن يحصي الثناء على الله مهما لهج بذكره آناء الليل وأطراف النهار؛ لأن الإدراك البشري موسوم بالعجز مهما تعملق أمام الحقيقة الإلهية اللانهائية، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾([3]).

وقد أورد الدارقطني وابن عساكر عن عمر –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "قال موسى: يارب وددت أني أعلم من تحب من عبادك فأحبه. قال: إذا رأيت عبدي يُكثر ذكري فأنا أذنت له في ذلك، وأنا أحبه، وإن رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبته عن ذلك وأنا أبغضه".

وعن لذة المناجاة يقول الإمام لغزالي في الإحياء: ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل المناجاة في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة. وقال بعضهم: لذة المناجاة ليست من الدنيا، وإنما هي من الجنة، أظهرها الله تعالى لأوليائه، لا يجدها سواهم.

---

١ – رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة.

٢ – ومن ذلك استعمال كلمة الصلاة بدل الدعاء أو الانحناء؛ لأن في الصلاة إشارة إلى ما كان يحدث من العرب حين يلتقون بعظيم، ينحنون له إكباراً وإجلالاً، وحين يلتقون بيتيم أو مريض ينحنون له إشفاقاً وحناناً .. فاستعمل القرآن لفظ الصلاة المأخوذ من الصلا، وهو واحد الصلوين المحيطين بفقرات الظهر، ليدل على الصلاة لله خضوعاً وتعظيماً، والصلاة على رسوله أو على الجنازة حناناً وحباً وإشفاقاً.

٣ – سورة الزمر: ٦٧

وإذا كان النبي –صلى الله عليه وسلم– قد علمنا أن الله عز وجل يحب المدح كما قال: "أما إن ربك يحب المدح، هات ما امتدحت به ربك، ... الحديث" فقد استحسنت ختام هذه المقدمة بثناء الشيخ "عبد القادر الجيلاني" على الله تعالى، فأنشأ يقول:

ربنا آمنا بك وبأسمائك وصفاتك، وما أنت به موصوف في علو ذاتك، كما ينبغي لجلال وجهك، وما أنت له أهل في عظيم ربوبيتك، وكما هو اللائق بك في كمال ألوهيتك، آمنا بك وبكتبك ورسلك، وبمحمد صلى الله عليه وسلم عبدك ورسولك، وبما جاء به من عندك كما تحب وترضى، وعلى ما هو في علمك الأعلى، يا عالم السر وأخفى، يا قيوم السماء والأرض. يا من لا يسكن قلب إلا بقربه وقراره، ولا يحيا عبد إلا بلطفه وإبراره، ولا يبقى وجود إلا بإمداده وإظهاره. يا من آنس عباده الأبرار، وأوليائه المقربين الأخيار. يا من أمات وأحيا، وأقصى وأدنى، وأسعد وأشقى، وأضل وهدى، وأفقر وأغنى، وأبلى وعافى، وقدر وقضى. يا من عليه يتوكل المتوكلون، يا من إليه يلجأ الخائفون، يا من بكرمه يتعلق الراجون، يا من بسلطان قهره وعظيم رحمته وبره يستغيث المضطرون، يا من لوسع عطائه وجميل فضله ونعمائه تُبسط الأيدي ويسأله السائلون. يا من هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن دون كل شيء، والقاهر فوق كل شيء. يا نور الأنوار، يا عالم الأسرار، يا مدبر الليل والنهار، يا ملك يا عزيز يا قهار، يا رحيم يا ودود يا غفار، يا علام الغيوب يا مقلب القلوب، يا ستار العيوب، يا غفار الذنوب، يا رب الأرباب، يا منزل الكتاب، يا سريع الحساب، يا من إذا دعي أجاب، يا رحيم يا رحمن، يا قريب يا مجيب يا حنان يا منان، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم لك الحمد وأنت المستعان وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم يا سميع يا بصير يا حي يا قيوم يا من هو هو يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام. سبحان الله تسبيحاً يليق بجلال من له السُّبُحَات، والحمد لله حمداً كثيراً يوافي نعمه ويكافئ مزيده على جميع الحالات، ولا إله إلا الله توحيد محقق مخلِّص قلبه بحق اليقين من الشكوك والظنون والأوهام والشبهات، والله أكبر من أن يحاط ويُدرك بل هو مدرك محيط بكل الجهات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رفيع الدرجات.

مدخل إلى الدراسة

مقدمة:

الحمد لله الذي أنقذنا بنور العلم من ظلمات الجهالة. نحمده سبحانه والحمدُ نعمة منه مستفادة، ونشكر له والشكر أول الزيادة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، خالق الخلق أجمعين، وباسط الرزق للمطيعين والعاصين، بسطاً يقتضيه العدلُ والإحسان، والفضلُ والامتنان، جاريا على حكم الضمان، يقول تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (١) فسبحان من أجرى الأمور بحكمته وتقديره، على وفق علمه وقضائه ومقاديره، لتقوم الحجة على العباد فيما يعملون، ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾. ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، المبعوث رحمة للعالمين بشريعة رب العالمين، لتهدي الكافة وتدعوهم، وترفق بجميع المكلفين مطيعاً وعصيا، وتسوي بينهم بحكم العدل شريفاً ودنيا، وتبوئ حاملها في الدنيا والآخرة مكانا عليا، وتدرج النبوة بين جنبيه وإن لم يكن نبيا، وتُلبس المتصف بها ملبساً سنيا حتى يكون لله وليا، فما أغنى من والاها وإن كان فقيرا، وما أفقر من عاداها وإن كان غنيا. اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين شفعوا العلم بإصلاح الأعمال، وسابقوا إلى الخيرات فسبقوا، وسارعوا إلى الصالحات فما لُحقوا، إلى أن طلع في آفاق بصائرهم شمس الفرقان، وأشرق في قلوبهم نور الإيقان، فظهرت ينابيع الحكم منها على اللسان، فهم أهل الإسلام والإحسان. وكيف لا وقد كانوا أول من قرع ذلك الباب، فصاروا خاصة الخاصة ولُباب اللباب، ونجوما يهتدي بأنوارهم أولو الألباب، رضي الله عنهم وعن الذين خلفوهم قدوة للمقتدين، وأسوة للمهتدين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد،،،

يقول صاحب الإحياء(٢): "لقد علمت يقينا أن الصوفية هم السابقون لطريق الله تعالى، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ... فإن

---

١ – سورة الذاريات: ٥٦

٢ – هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي. ولد بمدينة طوس بخراسان سنة ٤٠٥هـ/١٠٥٨م وبعد وفاة والده عاش في كنف أحد المتصوفين في بلده بناء على وصية والده. تابع الغزالي تحصيل العلوم من الفقه

جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به".

وفي كتابه المنقذ من الضلال يقول: وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله .. وفرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه، وبين أن تكون حالك الزهد، وعزوف النفس عن الدنيا .. ومن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الإسم، وكرامات الأولياء هي على التحقيق بدايات الأنبياء، وكان ذلك أول حال رسول الله — صلى الله عليه وسلم- حين أقبل إلى غار حراء([1])، حيث كان يخلو([2]) بربه ويتعبد حتى قالت العرب: إن محمداً عشق ربه.

والحديث على أيدي علماء عصره، فسافر إلى نيسابور حيث التقى بإمام الحرمين الجويني وتتلمذ على يديه، ثم خلفه في التدريس في نفس المدرسة في نيسابور، وبعد تأسيس المدرسة النظامية في بغداد عين فيها أستاذاً للفقه الشافعي. ترك منصبه ودخل الطريق الصوفي لأنهم كما يقول: أرباب أحوال لا أصحاب أقوال. له عدد كبير من المؤلفات منها: إحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال، ومشكاة الأنوار، ومكاشفة القلوب، وغيرها كثير. عاد الغزالي إلى مسقط رأسه طوس، وأسس دويراً صوفية لبعض مريديه، وقضى فيها سنواته الأخيرة حتى وافته المنية عام ٥٠٥هـ/١١١١م ودفن هناك.

١ – غار حراء: لغة البيت المنحوت في الجبل، فإذا اتسع كان كهفاً، كما في اللسان لابن منظور. واصطلاحاً هو المكان الذي كان النبي —صلى الله عليه وسلم- يتحنث فيه الليالي ذوات العدد من رمضان قبل هبوط الوحي عليه، والذي نزلت فيه الآيات الأولى من القرآن الكريم. وكان يسمى حراء في الجاهلية، ثم سمي جبل النور في الإسلام. وكانت إقامة الرسول —صلى الله عليه وسلم- في هذا الغار تزداد من سنة إلى سنة، حتى إذا لم يبقى على اصطفائه سوى ستة أشهر، أخذت تظهر عليه علامات مثل: طول الإقامة في الغار — لم يكن يرى الرؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح — لم يكن يمر على صخرة ولا شجرة إلا صلت عليه. حتى جاءه الروح الأمين، وكان قد بلغ أشده، وبلغ الأربعين من عمره، وأنزل عليه الآيات الأولى من سورة العلق (أنظر لسان العرب لابن منظور؛ والاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم. ج١، ص٢٦٣).

٢ – الخلوة لغة إنفراد الإنسان بنفسه أو بغيره، أو بمعنى المكان الذي يتم فيه ذلك. ومنه قول أنس بن مالك — رضي الله عنه- : جاءت امرأة من الأنصار إلى النبي —صلى الله عليه وسلم- فخلا بها (رواه البخاري) أي ابتعد منفرداً بها حتى لا يسمع الحاضرون شكواها. والخلوة في الاستعمال الصوفي بمعنى محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره، وهذه حقيقتها، أما صورتها فهي ما يتوصل به إلى تحقيق ذلك. وهذا يرجع إلى منهجهم في مجاهدة النفس، حيث يرون أن الخلوة أعون للمريد على التركيز في عبادته حتى يمحو ما في نفسه من ذميم الصفات، ويحصل على صفو العلاقة بالله سبحانه وتعالى. وللمشايخ في المفاضلة بين الخلوة والمخالطة

وهذه الحالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها، فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع، إن أكثر معهم الصحبة، ومن جالسهم استفاد منهم هذا الإيمان، فهم

ترجيحات تعود إلى تقدير أحوال المريد، وهم يرجعون في شأن الخلوة إلى ما روي عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في حديث بدء الوحي (أنظر صحيح البخاري، كيف كان بدء الوحي) أنه صلى الله عليه وسلم حُبب إليه الخلاء، فكان يأتي غار حراء فيتحنث فيه ويتزود لذلك، ثم يعود إلى خديجة –رضي الله عنها– فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء. وقد وضعوا للخلوة شروطاً لكي تثمر ثماراً صحية، فما كان منها وفقاً لقواعد الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أثمر تنوير القلب، والزهد في الدنيا، وحلاوة الذكر، والمعاملة لله بالإخلاص، لذلك يحتاج المريد إلى تعلم ما يلزمه من علوم الشريعة قبل الدخول في الخلوة. وما لم يستوف المريد شروطها فإنها توقعه في فتنة أو بلية، وقد تنتج له صفاء في النفس يستعان به على اكتساب علوم الرياضة مما يعتني به الفلاسفة وأمثالهم، وقد يوجد عندهم ما يشبه في صورته أحوال المتابعين للشرع، فيكون في حقهم مكراً واستدراجاً، ولا يجوز للمريد أن يغتر بشيء من ذلك حتى لو مشى على الماء؛ لأن من تعلق بخيال أو قنع بمحال، ولم يحكم أساس خلوته في الإخلاص فإنه يدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور، ويسلبه الله لذة العبادة. ومن أصولهم أن من يدخل الخلوة ينبغي أن يكون خاليا من جميع الأفكار إلا ذكر الله، ومن جميع المرادات إلا مراد ربه (أنظر إحياء علوم الدين للغزالي، ج٢، كتاب آداب العزلة ؛ وعوارف المعارف للسهروردي ؛ واللمع للطوسي). ويقسم الشيخ عبد القادر الجيلاني الخلوة والعزلة إلى: خلوة ظاهرة، وخلوة باطنة. أما الأولى فهي عزل الشخص نفسه وحبس بدنه عن الناس، وترك مألوفاتها، وحبس حواسها الظاهرة لفتح الخواص الباطنة، ودفع شر نفسه عن المسلمين، وكف عينيه عن الخيانة والنظر إلى الحرام، وكذا كف أذنيه ويديه ورجليه، ويكون نيته في ذلك رضاء الله تعالى. وبذلك تكون الخلوة قد حصنته من المعاصي. أما الخلوة الباطنة: أن لا يدخل في قلبه من التفكرات النفسانية والشيطانية مثل محبة المأكولات والمشروبات، ومثل محبة الأهل والعيال والرياء والسمعة والشهرة، ولا يدخل في قلبه باختياره مثل الكبر والعجب والبخل وغير ذلك من الذمائم. فإذا دخل في قلب الخلوتي شيء من ذلك فسدت خلوته وقلبه. فلابد من قلع النفس عن الهوى بالخلوة والرياضة والصمت وملازمة الذكر والتوبة والاعتقاد الصحيح السني على آثار السلف الصالح. فإذا جلس المؤمن الموحد في الخلوة بالتوبة والتلقين مع هذه الشرائط المذكورة خلص الله عمله ونور قلبه ولين جلده وطهر لسانه وجمع حواسه من الظاهر والباطن ورفع عمله إلى حضرته وسمع دعائه. وإذا حصل للخلوتي هذه المقامات كان قلبه كالبحر لا يتغير بإيذاء الناس، ثم تكون سفينة الشريعة جارية عليه، ويكون الروح القدسي غواصاً إلى قعره، فيصل إلى در الحقيقة، ويخرج من لؤلؤ المعرفة ومرجان اللطائف المكنونة كما قال تعالى: "يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ"؛ لأن هذا البحر حصل لمن جمع بحر الظاهر والباطن، فلا يمكث بعده الفساد في القلب، ويكون السهو والنسيان معفواً عنه بالاستغفار والندم إن شاء الله تعالى (أنظر سر الأسرار ومُظهر الأنوار للشيخ عبد القادر الجيلاني، ص ١٨١-١٨٤ بتصرف).

القوم لا يشقى جليسهم.([1]) ومن لم يرزق صحبتهم فليعلم إمكان ذلك يقينا بشواهد البرهان، والتحقيق بالبرهان علم، وملابسة عين تلك الحالة ذوق، والقبول من التسامح والتجربة بحسن الظن إيمان، فهذه درجات ثلاثة ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ ([2]). ووراء هؤلاء قوم جهال، هم المنكرون لأصل ذلك، المتعجبون من هذا الكلام يستمعون ويسخرون([3]).

لقد سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– حارثة: "ما حقيقة إيمانك؟" قال: عزفت بنفسي عن الدنيا، فأظمأت نهاري، وأسهرتُ ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وإلى أهل النار يتعادون([4]). فلما عزف عن الدنيا نور الله قلبه، فكان ما غاب عنه بمنزلة ما يشاهده. وهو قريب من معنى الإحسان([5]) في الحديث الذي ورد في الصحيحين عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فعندما سأل جبريل –عليه السلام–

---

١ – إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هَلُمُّوا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم: –وهو أعلم بهم– ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا، والله ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً وتحميداً وأكثر تسبيحاً. قال: فيقول: فما يسألونني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله يارب ما رأوها. قال: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يارب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة. قال: فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم".

٢ – سورة المجادلة: ١١

٣ – أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص ١٣٠–١٤٢ بتصرف.

٤ – ضعيف. أخرجه البزار من حديث أنس.

٥ – الإحسان لغة فعل ما هو حسن مع الإجادة في الصنع. وشرعاً أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. فهو فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير فضلا ومحبة، والأفضل أن يكون دائما دون انقطاع لأنه عمل بالفضائل وقربة إلى الله تعالى (أنظر التعريفات للجرجاني). وقد أمر الله عز وجل بالإحسان فقال: "إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ"(سورة النحل: ٩٠).

عن الإحسان، أجابه النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". فالإحسان لفظ جامع لجميع أبواب الحقائق، وفيه لُب الإيمان وروحه، فالإحسان أن تعبد الله وكأنك تشاهده –عز وجل– ببصرك، مشاهدة تجعلك تحس بجلاله وكماله، فإذا كنت لا تشاهده، فاعلم أنه –سبحانه– يراك في كل أحوالك. فإذا أشعرت نفسك مراقبة الله تعالى لك بسمعه وبصره، راقبته أنت أيضاً بقلبك وفكرك، وهذه المراقبة القلبية أخت المشاهدة الحقيقية؛ لأنها شهود بالبصيرة، كما أن تلك شهود بالبصر.

الصوفية والسلفية:

هناك أكثر من قائل بأن كلمة التصوف مشتقة من الصوف، دلالة على الخشونة وأن الصوفية يرتدونه تعسيراً لدنياهم، في حين يرى البعض أن الكلمة ترجع في معناها اللغوي إلى كلمة "صوفيا" اليونانية التي تعني الحكمة، على أن فريقاً آخر يرى أن الصوفية هم أهل الصفة الذين كانوا حفظة القرآن ولا يعملون، ويحصلون على رزقهم من الصدقات([1]) ويوضح الشيخ الشعراوي –رحمه الله– أن "أل" في كلمة الصوفي هو اسم موصول كما يقال: جاء المكرم أخاه.. أي جاء الذي أكرم أخاه. فالصوفي أي الذي صوفي، صافا الله فصافاه الله فأصبح صوفي من الله. وفي ذلك يقول ابن الحاج([2]):

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك إن غنى المغنونا

---

١ – عبد العزيز سوكارناوادي (٢٠١١). الردود المرضية على منكري السادة الصوفية. رسالة ماجستير منشورة. ص ٢١–٢٢ بتصرف.

٢ – إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري أبو القاسم المعروف بابن الحاج (768–713هـ /1313–1367م) أديب أندلسي، من كبار الكتاب. ولد بغرناطة، وارتسم في كتاب الإنشاء سنة ٧٣٤ هـ ثم رحل إلى المشرق فحج وعاد إلى أفريقية (تونس) فخدم بعض ملوكها ببجاية وخدم سلطان المغرب الأقصى، وانتهى بالقفول إلى الأندلس فاستعمل في السفارة إلى الملوك وولي القضاء بالقليم بقرب الحضرة. وركب البحر من المرية سنة 768 هـ رسولا عن السلطان إلى صاحب تلمسان السلطان أحمد بن موسى، فاستولى الفرنج على المركب وأسروه، ففداه السلطان بمال كثير. له شعر جيد ومؤلفات منها "المساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة" و"تنعيم الأشباح في محادثة الأرواح" ورحلة سماها "فيض العباب وإجالة قداح الآداب في الحركة إلى قسنطينة والزاب.

بل التصوف أن تصفو بلا كدر وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن تُرى خاشعا لله مكتئباً على ذنوبك طول الدهر محزونا

والسلفية منهج إسلامي يدعو إلى فهم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة. والسلف الصالح هم المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين([1]) وتابعي التابعين الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى التي أثنى عليها النبي –صلى الله عليه وسلم– ويستثنى من ذلك الخوارج([2])،

والمعتزلة([3]) والجهمية([4]) والقدرية([5]) وغيرهم من الفرق. أي أن السلفية أو أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بصريح الكتاب وصحيح السنة المحبون لله ولرسوله –صلى الله عليه وسلم– يقول تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**

---

١ – التابعي: هو من اجتمع بالصحابي اجتماعاً متعارفاً، ولا يشترط فيه طول الاجتماع كما في الصحابي مع النبي –صلى الله عليه وسلم– وهذا ما صححه ابن الصلاح والنووي.ومما ينبغي أن يعلم أن أفضل التابعين أويس القرني، حيث أخرج مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب: من فضائل أويس القرني، عن عمر ابن الخطاب قال: إني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: "إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة، وكان به بياض، فمروه فاليستغفر لكم".

٢ – طائفة خرجت على الخليفة الذي تمت بيعته من أهل الحل والعقد. قال الشهرستاني: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً. وهم في الأصل الذين كانوا مظهري التشيع في نصرة الإمام عليّ ضد معاوية، فلما قبل التحكيم لم يرتض أولئك ذلك فخرجوا عليه، ولم يقبلوا أن يرجعوا إليه إلا إذا أقر على نفسه بالكفر لقبوله التحكيم. جعلهم الرازي إحدى وعشرين فرقة (أنظر: الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث، محمد غالب بركات، دار الآفاق العربية) .

٣ – فرقة من القدرية، وهم أرباب الكلام والجدل، ينبني مذهبهم على أصول خمسة: العدل والتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تنوعت فرق المعتزلة حتى يصعب حصرها، فمنهم: الواصلية والهذيلية والنظامية وغيرهم كثير. (أنظر: الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث).

٤ – الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، تلميذ الجعد بن درهم الذي ابتدع القول بخلق القرآن، كان من مذهب جهم أنه لا يجوز أن يوصف الله بما يوصف به خلقه لأنه تشبيه، فنفى الحياة والعلم، وقال: لا يجوز على الله أن يعلم الشيء قبل خلقه، والإنسان مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وقال بفناء الجنة والنار، وأن الإيمان واحد لا يتفاوت، ونفى الرؤية. (أنظر الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث).

٥ – روى أبو داود عن ابن عمر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم" (إسناده ضعيف، وله طرق يتقوى بها، وقد خرجه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة برقم ٣٣٨).

وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ([1]) وإذا نظرنا إلى السلف وجدنا صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يتوافر فيهم حب الله وحب الرسول واتباعه –صلى الله عليه وسلم– فهل اختلف الصوفية مع هذه المفاهيم؟

فالتصوف كما يقول البوطي: اسم حادث لمسمى قديم، إذ أن مسماه لا يعدو كونه سعيا إلى تزكية النفوس، وحب الله تعالى والتوكل عليه والإخلاص له. ويقول عبد القادر عيسى: إننا لا نهتم بالتعابير والألفاظ بقدر اهتمامنا بالحقائق والأسس. ونحن إذ ندعو إلى التصوف إنما نقصد به تزكية النفوس، وصفاء القلوب وإصلاح الأخلاق والوصول إلى مرتبة الإحسان، نحن نسمي ذلك تصوفاً. وإن شئت فسمه الجانب الروحي في الإسلام، أو الجانب الأخلاقي، أو الجانب الإحساني، أو سمه ما شئت مما يتفق مع حقيقته وجوهره([2]) ألم ترى أن لفظ السيف والحسام والمهند، كلها ألفاظ مختلفة أما المعنى فواحد، وهو ما يسميه أهل البلاغة بالترادف([3])

ويقول الشيخ محمود السبكي([4]): اعلم أن التصوف هو الجد في السلوك إلى ملك الملوك، مع الأخذ بالأحوط من الأحكام .. ولذا قالوا: الصوفية قعدوا على الدعائم الأصلية ووقف غيرهم على الرسوم، ومن هنا فازوا فوزًا عظيمًا وبلغوا من الكمالات ما لم يصل إليه

---

١ – سورة آل عمران: ٣١

٢ – عبد العزيز سوكرناوادي، مرجع سابق، ص٣٣.

٣ – محمد سيد سلطان (٢٠١١). كشف اللثام عن تصوف المظلل بالغمام. القاهرة: دار جوامع الكلم. ص٤

٤ – هو أبو محمد محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السبكي. ولد ببلدة سبك الأحد من قرى مركز أشمون بمحافظة المنوفية بمصر عام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م، لبث يدرس بالأزهر بعد نيله العالمية سبعاً وثلاثين عاماً، وما ترك الأزهر زهادة فيه. تلقى الشيخ العلم عن كثيرين منهم: شمس الدين الأنباني الشافعي، وسليم البشري المالكي، وأحمد الرفاعي المالكي. ومن تلامذته: الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر، والشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة الشرعية العليا، والشيخ علي محفوظ المدرس بكلية أصول الدين، وغيرهم كثير. في عام ١٣٣١هـ/١٩١٢م قام بتكوين جمعية أسماها: الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية. له مؤلفات عديدة منها: أعذب المسالك المحمودية في التصوف والأحكام الفقهية، وحكمة البصير على مجموع الأمير في فقه الإمام مالك، والعهد الوثيق لمن أردا سلوك أحسن الطريق، والدين الخالص، وغيره كثير. توفي ظهر يوم الجمعة ١٤ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـ/٧ من يوليو سنة ١٩٣٣، ودفن في قرافة المجاورين.

غيرهم، ولكن لا سبيل لك أيها الإنسان إلى ذلك إلا بمجاهدة النفس ليلاً ونهارًا بهمة قوية، كما أن التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا وباطنًا، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، ومن الباطن في الظاهر، فيحصل من الحكمين كمال لم يكن بعده كمال، والعلم أن طلب الكمال من أشرف الخصال، والكمال هو التخلي عن الأوصاف الذميمة، والتحلي بالأوصاف الحميدة.

وتجدر الإشارة إلى إصرار البعض على أن التصوف لم يُعرف على عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– ولم يرد لفظ التصوف على لسانه الشريف. والحجة بالحجة تقرع، أي أن لفظ "السلفية" أيضاً لم يرد على لسانه الشريف، فكلا اللفظين لم يردا، وليس كل ما نستعمله من مصطلحات وألفاظ ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ولا يكون ذلك دليلاً على البطلان([1]). ولقد ظهر مصطلح السلف حيث دار النزاع حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، ومحاولة الجميع الانتساب إلى السلف الصالح، فكان ينبغي ظهور قواعد واضحة للاتجاه السلفي تميزه عن مدعي الانتساب للسلفية([2])

والتصوف كما يقول ابن خلدون([3]) في المقدمة: أصله أن طريقة القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف

١ – محمد سيد سلطان، مرجع سابق، ص٥٦ بتصرف.

٢ – مصطفى حلمي (١٩٨٤). قواعد المنهج السلفي. (ط٢). الإسكندرية: دار الدعوة. ص١٨٧.

٣ – هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون. اسمه عبد الرحمن، وكنيته أبو زيد، ولقبه ولي الدين، وشهرته بن خلدون. ولد ابن خلدون عام ٧٣٢هـ في تونس، استغرق نحو عشرين عاماً في مسقط رأسه، قضى منها خمسة عشر عاماً في حفظ القرآن الكريم وتجويده بالقراءات والتلمذة على الشيوخ وتحصيل العلوم، حيث كان أبوه معلمه الأول، وكانت تونس مركز العلماء والأدباء في بلاد المغرب، درس العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه على المذهب المالكي وأصول وتوحيد، ودرس العلوم اللسانية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأدب، ثم درس المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية. تنقل بين بلدان المغرب الأدنى والأوسط والأقصى وبعض بلاد الأندلس، ثم تفرغ للتأليف حتى أواخر عام ٧٨٤هـ حتى أخرج المقدمة. انتقل إلى مصر وعمل في التدريس والقضاء، فتم تعيينه في منصب تدريس الفقه المالكي بمدرسة القمحية، وهي من إنشاء صلاح الدين بن أيوب، ثم عُين قاضي قضاة المالكية. وبعد عودته من الحج ولاه السلطان منصب كرسي الحديث في مدرسة صرغتمش بجوار جامع أحمد بن طولون، وذلك في محرم عام ٧٩١هـ، فقرر كتاب

على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة، وكان ذلك عاماً بين الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية([1])

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي([2]): إن التصوف علم شريف، ومستمد من الشرع، وقائم على الشرع ولا يخرج عن الشرع، فكيف يأتي سفيه ويقول: إن التصوف علم مبتدع، وليس له أصل في الشريعة، وهو زندقة ورجاله زنادقة، أعتقد أن هذا الكلام لا يخرج إلا من جاهل؛ فإن أقوال أئمة التصوف وأعلام الصوفية نجدها كلها تدور حول اتباع الكتاب والسنة والابتعاد عما يخالفهما، وكلها تدعو إلى مكارم الأخلاق، وإلى الخوف من الله تعالى، وإلى تقواه وابتغاء رضاه، وتدعو إلى السخاء، والحاصل أنها تدعو إلى جماع الخير وتنهي عن جماع الشر، وفي هذا تبين لنا حقيقة التصوف، وهي أنه علم يقصد به صلاح المسلم والوصول إلى رضا الله والالتزام بالشريعة وترك ما خالفها بالكلية، وهذه هي غاية خلق الإنسان على هذه الأرض، وفي هذا بيان واضح لمن أراد أن يتعرف على حقيقة التصوف. فهل فيما ذكر شيء لا يرضاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟! هل في هذا ما لا يرضي العقل والدين؟! أعتقد لا، فهذا هو التصوف وهؤلاء هم الصوفية، وما خالف هذا نضرب به عرض الجدار، بل ونضربه بنعالنا، ونطأ عليه تحت الثرى.

الموطأ للإمام مالك. توفي بالقاهرة فجأة لأربع بقين من شهر رمضان سنة ٨٠٨هـ ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر.

١ – عبد الرحمن ابن خلدون . المقدمة. (ج٣). ص ٩٨٩.

٢ – هو أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي، ينتهي نسب أسرته إلى الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ولد بقرية تكية من بلاد الهند في (١٣٣٢هـ/١٩١٤م – ١٤١٩هـ/١٩٩٩م). عين مدرساً في دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٣٤م، ودرس فيها التفسير والحديث والأدب العربي وتاريخه والمنطق. أسس مركزاً للتعليمات الإسلامية ونظم فيها حلقات درس للقرآن الكريم والسنة النبوية. له مؤلفات عديدة لعل من أهمها: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، وربانية لا رهبانية، وعن الصوفية، وإذا هبت ريح الإيمان، و...الخ (أنظر أعلام القرن الرابع عشر الهجري، أنور الجندي، ج١، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية).

وكثيراً ممن لم يتحقق بهم مقاصد الشريعة يظن أن الصوفية جرت على طريقة غير طريقة الجمهور مستدلين على ذلك بأمور من أقوالهم وأفعالهم، ويرد على ذلك أكبر أعلام الصوفية في زمانه "أبو سليمان الداراني"([1]) فيقول: "ربما وقعت النكتة من كلام القوم في قلبي فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة؛ لأن الله عز وجل ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي فيما سوى ذلك"، ويعلق الدكتور "محمد سيد سلطان" بخطأ الصوفي الذي يريد أن يجعل كل حرف قاله صوفي معصوماً، والذي يريد أن يجعل لكتب الصوفية من العصمة ما للكتاب والسنة([2]).

وقد كان الإمام الفضيل([3]) من كبار المحدثين: ثقة، وثباتا، وحفظاً، يثق فيه البخاري ومسلم وغيرهما من رواة الحديث، وهو من أئمة التصوف. ولو تأملت قول أبي الحسن الشاذلي، علمت أن أهل السنة هم أهل التصوف، يقول رضي الله عنه: من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به الرسول –صلى الله عليه وسلم– فهو بدعي. ويقول في موضع آخر: إذا لم يواظب الصوفي على حضور الصلوات الخمس في الجماعة فلا تعبأ به، ويقول أيضاً: ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السنة([4]).

فالأصل هو التمسك بالكتاب والسنة، يقول أُبي بن كعب([5]): عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من

---

١ – هو عبد الرحمن بن عطية، ويقال أيضاً عبد الرحمن بن أحمد بن عطية. (ت ٢١٥هـ) من أهل "دارايا" قرية من دمشق، فلقب بالداراني، وبريحان القلوب لغاية لطفه. اهتم بالمعرفة فرأى أن نور القلب هو مصدر المعرفة. فالمعرفة لديه أعلى درجة في التصوف، وقد ربط معرفة الله بأعمال التقوى ربطاً وثيقاً، وكذلك كان يربط بين الحقيقة والشريعة، فلا يقبل الأمور إلا إذا جاءت متفقة مع الكتاب والسنة.

٢ – محمد سيد سلطان، مرجع سابق، ص ١٥.

٣ – الفضيل بن عياض التميمي. يكنى أبو علي. ولد بخراسان، وقدم الكوفة وهو كبير، وسمع بها الحديث، ثم تعبد وانتقل إلى مكة فمات بها. وعن إسحاق بن إبراهيم قال: سمعت الفضيل يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبّل كبّلتك خطيئتك. توفي رضي الله عنه سنة ١٨٧هـ (أنظر صفة الصفوة، ج٢، ص٢٣٨).

٤ – محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص١٧.

٥ – أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري أبو المنذر وأبو

خشية ربه، فيعذبه الله أبداً، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك إذ أصابها ريحٌ شديدةٌ، فتحاتَّ عنها ورقها إلا حط الله خطاياه كما تحاتُّ عن الشجرة ورقها، فإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً واقتصاداً أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم([1])، والإمام الإسفراييني([2]) هو إمام فقيه، أصولي، مفسر. يذكر أن ما يمتاز به أهل السنة عن غيرهم من الخوارج والروافض والقدرية، هو علم التصوف والإشارت، وما لهم فيها من الدقائق والحقائق لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ، بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة([3]). ويقول أبو يزيد البسطامي([4]): لو نظرتم إلى الرجل أعطي من الكرامات حتى

الطفيل، سيد القراء، كان من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرا والمشاهد كلها. قال له النبي – صلى الله عليه وسلم – ليهنك العلم أبا المنذر، وقال له إن الله أمرني أن أقرأ عليك، وكان عمر يسميه سيد المسلمين ويقول اقرأ يا أبي، ويروي ذلك عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أيضا وأخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم وعده مسروق في الستة من أصحاب الفتيا، قال الواقدي: وهو أول من كتب للنبي – صلى الله عليه وسلم – وأول من كتب في آخر الكتاب وكتب فلان بن فلان، وكان ربعة أبيض اللحية لا يغير شيبه، وممن روى عنه من الصحابة عمر، وكان يسأله عن النوازل ويتحاكم إليه في المعضلات، وأبو أيوب وعبادة بن الصامت وسهل بن سعد وأبو موسى وابن عباس وأبو هريرة وأنس وسليمان بن صرد وغيرهم، قال بن أبي خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول مات أبي بن كعب سنة عشرين أو تسع عشرة، وقال الواقدي ورأيت آل أبي وأصحابنا يقولون مات سنة اثنتين وعشرين، فقال عمر اليوم مات سيد المسلمين قال وقد سمعت من يقول مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين وهو أثبت الأقاويل، وقال بن عبد البر الأكثر على أنه في خلافة عمر، وروى البخاري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبزى قال قلت لأبي لما وقع الناس في أمر عثمان فذكر القصة وروى البغوي عن الحسن في قصة له أنه مات قبل قتل عثمان بجمعة وقال بن حبان مات سنة ثنتين وعشرين في خلافة عمر وقد قيل أنه بقي إلى خلافة عثمان (الإصابة، ١٢/١؛ تهذيب التهذيب).

١ – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص ١٢

٢ – إسحاق بن موسى بن عمران الإسفراييني. كان فقيهاً، محدثاً، ورعاً زاهداً. تفقه على المزني، وسمع "المبسوط" من الربيع. قال عنه الحاكم: هو أحد الأئمة الشافعيين، والرحالة في طلب الحديث. توفي بإسفرايين سنة ٢٨٤هـ. (طبقات الشافعية، ج٢، ص٢٥٨).

٣ – محمد عبد الحليم (٢٠٠٢). مناقب الصاوي، ص١٦.

٤ – طيفور بن عيسى بن شروسان. كان جده شروسان مجوسياً فأسلم. أحد الزهاد وله كلام حسن في المعاملات. قال عنه الذهبي: له نكت مليحة، وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، الشك في ثبوتها عنه،

يرقى في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة([1])

وقد شهد ابن تيمية([2]) في رسالة "الصوفية والفقراء، في مجموع الفتاوى" أن في هؤلاء الصوفية من يصل إلى درجة السابقين والصديقين. وفي تعليقه على كلام أبي حامد الغزالي يقول: وما ذكره من المشاهدات والكشوفات التي تحصل للصوفية، وأنهم يشهدون تحقيق ما أخبر به الرسول –صلى الله عليه وسلم– ونفع ما أمر به، فهذا أيضاً حق في كثير مما أخبر به وأمر به.([3])

وابن القيم([4]) كان كثير النقل عنهم في كتبه. فالتصوف هو روح الإسلام، وهو الحقيقة الروحية التي لازمت دعوة التوحيد، وهو الأمانة الإلهية الكبرى التي تربط بين الملك

أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر والغيبة، فيطوى ولا يحتج بها. وكان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر. توفي سنة ٢٦١هـ (أنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، وحلية الأولياء، وطبقات الصوفية).

١ – عبد الحليم محمود: مقدمة المنقذ من الضلال.

٢ – هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني. ولد بحران يوم الاثنين ثاني عشر من ربيع الأول عام ٦٦١هـ. له مؤلفات كثيرة في كل فن من العلوم ما بين كتاب ورسالة وفتوى، وقد أفرد لها تلميذه ابن القيم كتاباً جمع فيه أسماء مؤلفاته. أبرز تلاميذه: الإمام بن القيم (ت ٧٥١هـ)، والحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، الحافظ بن كثير (ت ٧٧٤هـ). توفي بن تيمية في سجنه بقلعة دمشق إثر مرض ألم به أياماً يسيرة بعد أن ضيقوا عليه في سجنه وأخرجوا من عنده كتبه وأوراقه، فتفرغ للعبادة وتلاوة القرآن إلى أن توفي ليلة الاثنين ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ. (أنظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير، وطبقات الحفاظ للسيوطي، وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي).

٣ – أحمد بن تيمية (٢٠٠٦). شرح العقيدة الأصفهانية. القاهرة: مكتبة بن تيمية. ص٢٩٤.

٤ – هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، ثم الدمشقي الفقيه، الأصولي المفسر النحوين أبو عبد الله بن قيم الجوزية. ولد عام ٦٩١هـ وسمع من الشهاب النابلسي العابد، والقاضي تقي الدين سليمان، وغيرهم، وتفقه في المذهب الحنبلي وبرع وأفتى، ولازم الشيخ بن تيمية وأخذ عنه. عنى بالحديث ومتونه ورجاله، وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وقد لهج بالذكر وشغف بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله تعالى، والانكسار والانطراح بين يديه على عتبة عبوديته. حبس مدة لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل، وحبس مع الشيخ بن تيمية في المدة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه، ولم يرج عنه إلا بعد موت الشيخ، وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن الكريم والتدبر والتفكر، ففتح الله عليه من ذلك خيراً كثيراً، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة. درس بالصدرية، وأم الجوزية (الجوزية

والملكوت، وهو النافذة التي تطل منها الأرواح على مشاهدة الحق الأكبر فيما وراء المنظور، وما بعد المادة، وهو العصمة ضد الزيغ والتحلل. فالتصوف هو مقام الاستقامة على ما جاء في القرآن، وهو مقام الإحسان على ما جاء في السنة، والاستقامة والإحسان اسمان لحقيقة واحدة فكانت فرضاً على كل مسلم ومسلمة.

واعلم أن الصوفية الصحيحة المستنيرة تحارب البدع والمنكرات والخرافات، وتقوم على المجاهدة ومحاسبة النفس من أجل تخليصها من الدسائس الصارفة إلى الشهوات النفسانية والضلالات الفكرية، وتقوم على الزهد الذي يعني انصراف القلب عن الأعراض الدنيوية، وعن كل ما يشغل عن الله، وتقوم على تزكية النفس من أجل التخلي عن كل خلق دني، والتحلي بكل خلق سني، سعياً إلى الله بغير زاد إلا التُقى وعمل للمعاد. فالصوفي هو الذي قلبه صفا وعن الدنيا جفا وسار على هدي المصطفى –صلى الله عليه وسلم– وبذلك لا تختلف الصوفية الصحيحة عن السلفية الصحيحة، والتي تعني الالتزام بما ورد في القرآن والسنة، وحسن التلقي عن السلف الصالح([1])

فالإمام الجنيد([2])، من شيوخ الصوفية، يقول: علمنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ويتفقه قبل سلوكه فإنه لا يجوز الاقتداء به. ويقول: إذا

مدرسة كان أبوه قيماً عليها ومديراً لشئونها ولذلك سمي ابن القيم الجوزية). صنف تصانيف كثيرة في أنواع العلم مثل: أعلام الموقعين عن رب العالمين، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، وبدائع الفوائد، وتحفة المودود بأحكام المولود، والروح، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، وغير ذلك كثير. توفي وقت العشاء ليلة الخميس ثالث عشر من رجب سنة ٧٥٢هـ (أنظر ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ج٢).

١ – شحات محمود الصاوي (٢٠٠٨). التصوف الصحيح المستنير كما بينه الإمام محمد زكي الدين ابراهيم.

٢ – الجنيد الصوفي أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري الزاهد المشهور. أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه العراق، وكان شيخ وقته وفريد عصره، وكلامه في الحقيقة مشهور مدون، وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي –رضي اللّه عنهما– وقيل بل كان فقيها علي مذهب سفيان الثوري –رضي اللّه عنه–، وسمع الحديث من الحسن بن عرفة وغيره. قال عنه جعفر الخُلدي: لم نرى في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد. صحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي، وغيرهما من جلة المشايخ. توفي يوم السبت سنة سبع وتسعين ومائتين، آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد ودفن يوم السبت بالشونوزية عند خاله السري السقطي، وكان عند موته رحمه الله قد ختم القرآن الكريم ثم ابتدأ في سورة البقرة فقرأ سبعين آية

رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تلتفتوا إليه، فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب، ويمشي على الماء، ولكن انظروا في اتباعه للكتاب والسنة.([1]) وقيل له: إن جماعة يزعمون أنهم وصلوا إلى حالة يسقط عنهم التكليف بها فقال: وصلوا لكن إلى سقر. ويقول السري السقطي([2]): التصوف اسم لثلاثة معان: لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بسر باطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات([3]) على هتك محارم الله.

ثم مات (وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٢، ص١٤ ؛ وأنظر ترجمته في: تاريخ بغداد، ٢٤١/٧، وطبقات الصوفية، ص١٥٥، وطبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص٢٦٠).

١ – إعلم أن الكرامة على نوعين: أحدهما كرامة معنوية، وهي أن يحفظ الله على العبد آداب الشريعة فيوفق للعمل بكتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– فيفعل مكارم الأخلاق ويجتنب سفاسفها، ويطهر باطنه من كل وصف يحجبه عن الله، فلا غل ولا حقد ولا حسد، ويطهر جوارحه عن التلبس بمنهي عنه، فلا كذب ولا غيبة ولا نميمة ...الخ. وبالجملة أن يكون مراقباً لله في سره وعلانيته، فلا استقرار له مع شيء سوى الله، ورحم الله من قال: الاستقامة عين الكرامة. وهذا النوع من الكرامة هو أشرف النوعين وأجلهما؛ لأنه لا يدخله مكر ولا استدراج، بل هو سر بين العبد وربه. والثاني: الكرامة الحسية، وهي ما يظهر على يد العبد من الخوارق كالإخبار بالمغيبات، وطي المسافات، وإجابة الدعوة، إلى غير ذلك من الخوارق التي تعول عليها العامة، وهذه دون الأولى؛ لأنها قد تحمل في طياتها الاستدراج (عبد السلام عبد الهادي شنار، تعليق على الخريدة البهية، ص ١٤٦).

٢ – سري السقطي يكنى أبو الحسن سري ابن المغلس السقطي. أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة، كان أوحد زمانه في الورع وعلم التوحيد، وهو خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه، وكان تلميذ معروف الكرخي. قال الجنيد: أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في علة الموت. ويقول: أخبرنا السقطي قال: صليت ليلة ثم جلست ساعة ومددت رجلي فنوديت في سري : يا سري من جالس الملوك ينبغي أن يحسن الأدب. وعن ابن حرب القاضي قال: سمعت سريا السقطي يقول: إني لأذكر مجيء الناس إليّ فأقول: اللهم هب لهم من العلم ما يشغلهم عني، فإني لا أريد مجيئهم ولا أن يدخلوا عليّ. وقال ابن المقري وزادني بعض أصحابنا عنه أنه قال: فكان من بركة دعائه أني حججت أربعين حجة على رجلي من حلب ذاهبا وراجعا. كانت وفاته يوم الأربعاء لست خلون من شهر رمضان بعد الفجر، سنة ست وخمسين وقيل سبع وخمسين ومائتين ببغداد (وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٣، ص٢٤ بتصرف، وصفة الصفوة لابن الجوزي، ج٢، ص٣٧٤).

٣ – مفردها كرامة، وتعني العزازة، يقال فلان كريم عليّ بمعنى عزيز لديّ. واصطلاحاً هي أمر خارق للعادة يظهره الله علي يد عبد ظاهر الصلاح. وفي مسألة وقوع الكرامة من ولي مذهبان: الأول لأهل السنة: وهم يرون الكرامة جائزة عقلاً، وواقعة فعلاً في الحياة وبعد الممات، بل إن بعضهم يذهب إلى أن حدوثها بعد الموت أولى لصفاء النفس حينذاك من الأكدار، ويستدلون بقصة مريم في القرآن الكريم، وقصة أهل الكهف،

ويقول الإمام الشيخ أحمد الدردير: التصوف هو الجد في السلوك إلى ملك الملوك، وغايته صلاح القلب وسائر الحواس في الدنيا، والفوز بأعلى المراتب في العقبى، وموضوعه الأخلاق المحمدية من حيث التخلق بها.

العلم والعمل:

يقول الإمام الشاطبي([1]) في الموافقات: كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعاً، والدليل على ذلك استقراء الشريعة: فإنا رأينا الشارع يُعرض عمّا لا يفيد عملاً مكلفاً به، ففي القرآن الكريم: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾ ([2]) فوقع الجواب بما يتعلق بالعمل إعراضاً عما قصده السائل من السؤال عن الهلال: لِم يبدو في أول الشهر دقيقاً كالخيط، ثم يمتلئ حتى يصير بدراً، ثم يعود إلى حالته الأولى؟ ثم قال: ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾، فالبر إنما هو التقوى لا العلم بهذه الأمور التي لا تفيد نفعاً في التكليف، ولا تجر إليه.

إن روح العلم هو العمل، وإلا فالعلم عارية وغير منتفع به. يقول تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ"([3]) وقال سفيان الثوري([4]): "إنما يتعلم العلم ليتقي

والذي عنده علم من الكتاب الذي أحضر عرش بلقيس. أما المذهب الثاني للمعتزلة، وهم يرون عدم جواز الكرامة (أنظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار).

١ – أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي، المالكي الشهير بالشاطبي. المحدث، الفقيه، الأصولي، اللغوي. توفي في شعبان ٧٠٩هـ وترك لنا عدداً من المؤلفات منها: شرح على الخلاصة في النحو، والموافقات في أصول الشريعة، والاتفاق في علم الاشتقاق، والاعتصام وغيرها.

٢ – سورة البقرة: ١٨٩

٣ – سورة فاطر: ٢٨

٤ – هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. شيخ الإسلام وسيد العلماء، الكوفي. ولد عام ٩٧هـ، طلب العلم وهو حدث باعتناء والده المحدث الصادق سعيد بن مسروق الثوري، وكان والده من أصحاب الشعبي، قال شعبة وابن عيينة وابو عاصم ويحي بن معين: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث من

به الله، وإنما فضل العلم على غيره لأنه يتقي به الله". وقال معاذ بن جبل([1]): "اعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا"([2]). وكان رجل يسأل أبا الدرداء([3]) فقال له: كل ما تسأل عنه تعمل به؟ قال لا. قال: فما تصنع بازدياد حجة الله عليك؟

يقول ابن تيمية: لابد من تصديق الرسول –صلى الله عليه وسلم– فيما أخبر علماً، ولابد من طاعته فيما أمر عملاً، ولهذا كان الإيمان قولاً وعملاً مع موافقة السنة، فعلم الحق ما وافق علم الله، والإرادة الصالحة ما وافقت محبة الله ورضاه، ولا يحصل التعليم المطابق النافع إلا مع العمل به، وإلا فقد قال تعالى: "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ"([4])([5])

شيوخه: جعفر الصادق، وسليمان التيمي وغيرهم. وممن روى عنهم: الأعمش وابو حنيفة وفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وغيرهم. توفي في شعبان سنة ١٦١هـ (أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء).

١ – معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدى بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن عدي بن نابي بن تميم بن كعب بن سلمة أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي. الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، وقال الواقدي كان من أجمل الرجال، وشهد المشاهد كلها، وروى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أحاديث روى عنه بن عباس وابن عمر وابن عدي وابن أبي أوفى الأشعري وعبد الرحمن بن سمرة وجابر بن أنس وآخرون من كبار التابعين، وشهد بدرا وهو بن إحدى وعشرين سنة، وأمَّره النبي – صلى الله عليه وسلم – على اليمن، والحديث بذلك في الصحيح من رواية بن عباس عنه. وفي طبقات بن سعد من طريق منقطع أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كتب إلى أهل اليمن لما بعث معاذا إني بعثت لكم خير أهلي. وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة أو التي بعدها وهو قول الأكثر وعاش أربعاً وثلاثين عاماً، وقيل غير ذلك (الإصابة في تمييز الصحابة، ١٨٩/٦، أسد الغابة، ٣١٥/١٠).

٢ – أخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم، ح ٢٧٢٢

٣ – لقبه عويمر، واسمه مكبر ابن قيس ابن زيد ابن أمية ابن مالك الخزرجي الأنصاري. والدرداء ابنته، كنى بها فقامت الكنية مقام اسمه حتى لا يكاد يعرف إلا بها. كان تاجراً في المدينة، أسلم يوم بدر، شهد أحد وغيرها من المشاهد، ولاه معاوية ابن أبي سفيان قضاء دمشق بأمر من عمر ابن الخطاب –رضي الله عنه– حرص على العلم وكان حرصه على العمل بما يعلم أقوى، وكان ملازماً للنبي –صلى الله عليه وسلم– حتى قال عنه الصحابة: أتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء. توفي في محافظة الإسكندرية بمصر سنة ٣٢هـ وهو ابن ٧٢ عاماً (أنظر: الإصابة في تمييز الصحابة).

٤ – سورة الصف: ٥

٥ – الاعتصام بالكتاب والسنة، ص٣٦

روي عن عمر ابن الخطاب –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: قال أخي موسى: يا رب وذكر كلمته، فأتاه الخضر(١) وهو فتى طيب الريح، حسن بياض الثياب مشمرها، فقال: السلام ورحمة الله يا موسى بن عمران، إن ربك يقرأ عليك السلام. قال موسى: هو السلام وإليه السلام والحمد لله رب العالمين الذي لا أحصي نعمه ولا أقدر على أداء شكره إلا بمعونته. ثم قال موسى: أريد أن توصيني بوصية ينفعني الله بها بعدك. فقال الخضر: يا طالب العلم إن القائل أقل ملالة من المستمع فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم، واعلم أن قلبك وعاء، فانظر ماذا تحشو به وعاءك. واغرف من الدنيا وانبذها وراءك، فإنها ليست بدار ولا لك فيها محل قرار، وإنما جعلت بلغة للعباد والتزود منها ليوم الميعاد، وروض نفسك على الصبر تخلص من الإثم. يا موسى: تفرغ للعلم إن كنت تريده فإنما العلم لمن تفرغ له، واعرض عن الجهال وماطلهم واحلم عن السفهاء، فإن ذلك فعل الحكماء وزين العلماء، إذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلماً وجانبه حزماً، فإن ما بقي من جهله عليك وسبه إياك أكثر وأعظم. يا ابن عمران لا ترى أنك أوتيت من العلم إلا قليلاً، فإن الاندلاث (الاقتحام) والتعسف من الاقتحام والتكلف. يا ابن عمران لا تفتحن باباً لا تدري ما غلقه، ولا تغلقن باباً لا تدري ما فتحه. يا ابن عمران: من لا ينتهي من الدنيا نهمته ولا تنقضي منها رغبته، ومن يحقر حاله ويتهم الله فيما قضي له كيف يكون زاهداً؟ هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه؟ أو ينفعه طلب العلم والجهل قد حواه؟ لأن سعيه إلى

١ – الخضر هو عبد من عباد الله آتاه الله نعمة من عنده، وعلمه من لدنه علم الباطن إلهاماً. وقصته مع سيدنا موسى في سورة الكهف، ولم يكن نبياً عند أكثر أهل العلم (أنظر البداية والنهاية لابن كثير، ج١). سمع أبو حاتم السجستاني مشايخه يقولون: "إن أطول بني آدم عمراً الخضر، واسمه خضرون بن قابيل بن آدم"(أنظر فتح الباري، كتاب التفسير)، لكن قد ورد ما يدل على أنه كان من بني إسرائيل في زمان فرعون (البداية والنهاية، ج١)، وصحح ابن جرير أنه كان متقدماً في الزمان حتى أدركه موسى عله السلام (أنظر تفسير الخازن، تفسير سورة الكهف). وقال السهيلي بصحة الطرق الواردة باجتماعه مع النبي صلى الله عليه وسلم، وتعزيته لأهل البيت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام (أنظر التعريف والإعلام للسهيلي، سورة الكهف). وقال الأكثرون من العلماء إنه حي الآن، وهذا متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة (تفسير الخازن)، واستشهد الجمهور على ذلك بأخبار عديدة (أنظر البداية والنهاية، ج١). وقد اختلف العلماء في اسمه ونسبه ونبوته وحياته، وبناء عليه فليس ذلك من العقائد والله أعلم.

آخرته وهو مقبل على دنياه. يا موسى: تعلم ما تعلمت لتعمل به، ولا تعلمه لتحدث به فيكون عليك بواره ولغيرك نوره. يا موسى بن عمران: اجعل الزهد والتقوى لباسك، والعلم والذكر كلامك، واستكثر من الحسنات فإنك مصيب السيئات، وزعزع بالخوف قلبك فإن ذلك يرضي ربك، واعمل خيراً فإنك لابد عامل سوء، قد وعظت إن حفظت، قال: فتولى الخضر وبقى موسى محزونا يبكي([1])

إعلم رحمك الله أن العلم بالأشياء لذة لا توازيها لذة، إذ هو نوع من الاستيلاء على المعلوم والحوز له، ومحبة الاستيلاء قد جبلت عليها النفوس، ومُيِّلت إليها القلوب، وهو مطلب خاص، برهانه التجربة والاستقراء العام، فقد يطلب العلم للتفكه به والتلذذ بمحادثته، ولا سيما العلوم التي للعقول فيها مجال، وللنظر في أطرافها متسع. فالعلم الذي مدحه الله ورسوله هو العلم الباعث على العمل، يقول تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ ([2]) ولذلك لما كان السحرة قد بلغوا في علم السحر مبلغ الرسوخ فيه، بادروا إلى الانقياد والإيمان حين عرفوا من علمهم أن ما جاء به موسى عليه السلام حق. ومن هنا قرن الله تعالى العلماء في العمل بمقتضى العلم بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فقال تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ ([3])

والعلم من حيث إنه علم لا ينجي من عذاب الله ما لم يعمل به، والعبادة المطلوبة شرط صحتها العلم، فينبغي للعاقل أن يقتصر من العلم على ما به العمل، وهو العلم الشرعي([4]). ويقول الإمام مالك([5]): ليس العلم بكثرة الرواية، ولكنه نور يجعله الله في

---

١ – البداية والنهاية لابن كثير، ج١، ص ٣٧٠–٣٧١. وقال ابن كثير الحديث لا يصح.

٢ – سورة الزمر: ٩

٣ – سورة آل عمران: ١٨

٤ – الشيخ أحمد الدردير، شرح الخريدة البهائية، ص٨٠

٥ – مالك بن أنس الأصبحي، ولد بالمدينة المنورة، ونشأ وتعلم بها، وكان يُلقب بإمام دار الهجرة، كان مولده سنة ٩٣ هـ، وتوفي بالمدينة سنة ١٧٩ هـ. وقد بنى مذهبه على أصول أربعة هي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وكان اعتماده على القياس قليلاً، وامتاز عن غيره في أن من أصول مذهبه الأخذ بعمل أهل المدينة

القلوب، وقال أيضاً: الحكمة والعلم نور يهدي به الله من يشاء، وليس بكثرة المسائل، ولكن عليه علامة ظاهرة: هو التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود. وذلك عبارة عن العمل بالعلم من غير مخالفة([1]). أما عن أصحاب أرباب الأحوال([2]) من أهل الولاية (الصوفية) فإن الشاطبي يقول فيهم أنهم قد أوغلوا في خدمة مولاهم حتى أعرضوا عن غيره جملة، فمال بهم هذا الطرف إلى أن تكلموا بلسان الاطراح لكل ما سوى الله، وأعربوا عن مقتضاه، وشأن من هذا شأنه لا يطيقه الجمهور.

وفي فضل العلم يقول الإمام عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه–:

ما الفضلُ إلا لأهل العلمِ إنَّهُمُ على الهُدى لمنِ استهدى أدِلاَّءُ
وقيمةُ المرءِ ما قد كان يُحسِنُهُ والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ
ففُز بعلمٍ ولا تطلب بهِ بدلاً فالناسُ موتى، وأهلُ العلمِ أحياءُ

العلم عند الصوفية:

في المسائل العملية؛ لأنه كان يرى أن أهل المدينة توارثوا ذلك خلفاً عن سلف إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد انتشر مذهبه في المدينة ومصر، ومذهبه الآن منتشر في شمال وغرب إفريقيا، وصعيد مصر، والسودان. من أشهر أقواله –رضي الله عنه– "ليس أحد بعد النبي –صلى الله عليه وسلم– إلا ويؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي صلى الله عليه وسلم" (رواه بن عبد البر في "الجامع")، وقد هم الخليفة العباسي هارون الرشيد أن يُعلق المصحف وموطأ مالك في جوف الكعبة، ويجعلهما دستوراً للأمة، لولا أن مالكاً – رضي الله عنه– منعه من ذلك، وقال له: "لا تفعل؛ فإن أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في البلدان، وكل مصيب، فلا تحجز على الناس أمراً وسعه الله عليهم".

١ – الشاطبي، مرجع سابق، ج١، ص٥٨.

٢ – أرباب الأحوال هم قوم تمكنت المحبة الخالصة لله تعالى من قلوبهم حتى استولى أمر الحق تعالى عليهم، وغلب وجوده على وجودهم، وهم صنفان: صنف تجلى الحق سبحانه وتعالى عليهم بطريق الأفعال وسلب عنهم اختيارهم وإرادتهم، فلا يرون لأنفسهم ولا لغيرهم فعلاً إلا بالحق، وصنف يكاشفون تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمته، فيستولى على باطنهم أمر الحق حتى لا يبقى لهم هاجس ولا وساوس (راجع عوارف المعارف للسهروردي). وقد سُمي الحال حالاً لأنه يحول أي يتحول، فهو يأتي وينصرف وليس دائم، والأحوال مواهب من الله تبارك وتعالى، فإذا راعى العبد الحال الموهوب له وقوى جهده فإن الحال يمكنه أن يصبح مقاماً، والأحوال عند الصوفية مثل: حال التوبة، وحال الزهد، حال المحاسبة، حال المراقبة.

أول ما عنى به الباحثون هو علم الشريعة الذي يبحث عن الأحكام العملية الظاهرة، ومن هنا وضع الفقهاء كتباً ورسائل في الفقه وأصوله([1])، وفي الكلام ومسائله، وفي غير هذا وذاك مما يتصل بالقرآن والحديث، وكلها علوم تدور حول محور رئيسي واحد هو أصول الدين وأحكام الشرع. وكان إلى جانب الفقهاء من يعنيهم باطن الأحكام الشرعية وهم الصوفية. فهم يرون أنهم في حاجة إلى علم ينتظم رياضاتهم وأذواقهم، ويصور حياتهم الروحية، ويحقق ما تطمح إليه نفوسهم من نقاء القلب وصفاء الروح وكمال الدين، فكان علم الباطن، حيث اختص الصوفية بهذا النوع من العلم الذي ليس لأحد غيرهم من أهل الشريعة كلام فيه([2]) وقد روي عن الحسن عن جابر –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:

١ – الفقه هو الفهم، يقال: فقيه يعني عالم، واختص في الاستعمال الشائع بعالم الشريعة. ويقال: تفقه، يعني: تدارس الفقه والعلم، وبذل الجهد في تحصيله، وكذلك فاقههُ يعني: باحثه وتباحث معه في العلم (مختار الصحاح بتصرف). ولفظ الفقه معناه الفهم الدقيق، ومن ذلك قوله تعالى: "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" [التوبة: ١٢٢]. وقد أخذ معنى الفقه في عرف العلماء أطواراً متعددة ثم استقر الرأي أخيراً إلى أن علم الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من الأدلة التفصيلية. ومعنى ذلك أن الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية التي مصدرها من الشارع، وهو الله سبحانه وتعالى، إما مباشرة كأن يكون الدليل الذي دل الحكم هو القرآن الكريم. وإما بواسطة، كأن يكون الدليل على الحكم هو قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو فعله أو تقريره، أي رؤيته للشيء، ثم لا ينكره، وهذا لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل إلا ما كان مشروعاً. ويجب التفريق بين علم الفقه، وأصول الفقه، حيث إن أصول الفقه هو العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. وإذا كان موضوع البحث في علم الفقه هو فعل المكلف من حيث ما يثبت له من الأحكام الشرعية كالبحث في الصلاة، والصوم، والحج، والبيع، والإجارة، والرهن، والسرقة، والقتل ... الخ. فإن موضوع البحث في أصول الفقه هو الدليل الشرعي الكلي من حيث ما يثبت به من الأحكام الكلية، فالأصولي يبحث في القياس وحجيته، والعام وما يقيده، والأمر وما يدل عليه وهكذا. (أنظر: عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، ص ١٢ بتصرف، بدر المتولي عبد الباسط: فقه العبادات، ص ٥).

٢ – محمد مصطفى حلمي (١٩٨٤). الحياة الروحية في الإسلام. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص ١١٦ بتصرف.

"العلم علمان، فعلم ثابت في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان فذلك حجة الله على عباده"([1]).

والعلم الثابت في القلب هو علم الباطن، بدليل الحديث الذي رواه الحسين المروزي في زوائد الزهد لشيخه عبد الله بن المبارك([2]) فقال: حدثنا أبو معاوية أنبأنا حجاج عن مكحول عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه". وأما علم اللسان هو العلم الظاهر، وهو حجة الله على عبده إذا لم يعمل به، وإنما كان علم الباطن الذي هو علم القلب نافعاً لأنه لا يحصل للشخص إلا بعد المجاهدة والعمل بالعلم الظاهر، إذ هو نتيجته وثمرته([3]).

يقول السهروردي([4]) في عوارف المعارف: إن علوم الصوفية نشأت من أن نفوسهم قد أحكمت أساس التقوى، وزهدت فيما اشتملت عليه الدنيا من عرض زائل فسالت أودية قلوبهم بما انصب فيها من مياه العلوم التي اجتمعت في هذه القلوب، فهم قد أخذوا بحظ من علم الدراسة (الظاهر) الذي يقوم على النقل والعقل، فأفادهم ذلك إذ وقفوا منه على الأحكام الظاهرة للعبادات فعلموها وعملوا بها، ثم تميزوا على غيرهم بعلم آخر هو علم الوراثة

١ – رواه الخطيب في التاريخ بإسناد حسن، وحسنه المنذري والعراقي. أنظر: كشف اللثام للدكتور محمد سيد سلطان، ص٧١.

٢ – يكنى أبا عبد الرحمن، كان أبوه تركياً، وأمه تركية خوارزمية، ولد عام ١١٨هـ. قال نعيم بن حماد: كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم. قال بن عيينة: نظرت في أمر الصحابة وأمر بن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم معه. روى عن كبار الأئمة كالثوري وشعبة والأوزاعي. توفي سنة ١٨١هـ وهو ابن ٦٣ سنة (أنظر صفة الصفوة، ج٤).

٣ – السابق، ص ٧٢.

٤ – قال عنه الذهبي في السير: هو العلامة الفيلسوف السيماوي المنطقي شهاب الدين يحي بن حبش بن أميرك السهروردي. كان يتوقد ذكاء إلا أنه كان قليل الدين. ناظر فقهاء حلب فلم يجاره أحد، فطلبه الظاهر وعقد له مجلساً فبان فضله، فقربه الظاهر واختص به، فشنعوا وعملوا محاضر بكفره وبعثوها إلى السلطان، وخوفوه أن يفسد اعتقاد ولده، فكتب إلى ولده يأمر بقتله، فاختار لنفسه أن يموت جوعاً وكان ذلك في أواخر سنة ٨٦هـ بقلعة حلب.

(الباطن)، وقد اختص به العلماء الزاهدون المتقون الذين فقهوا الدين فقهاً أبان لهم عن قواعده وأصوله إبانة توقفهم على المعنى الحقيقي للدين.

ويوضح الإمام الطوسي([1]) في اللمع فيقول: ومن لم يبلغ من الصوفية مراتب الفقهاء، وأصحاب الحديث في الدراية والفهم، ولم يحط بما أحاطوا به علماً فإنهم راجعون إليهم في الوقت الذي يُشكل عليهم حكم من الأحكام الشرعية أو حد من حدود الدين، فإذا اجتمعوا فهم في جملتهم فيما اجتمعوا عليه، فإذا اختلفوا فاستحباب الصوفية في مذهبهم الأخذ بالأحسن والأولى والأتم احتياطاً للدين وتعظيماً لما أمر الله به عباده واجتنابا لما نهاهم عنه. ثم إنهم من بعد ذلك ارتقوا إلى درجات عالية، وتعلقوا بأحوال شريفة، ومنازل رفيعة من أنواع العبادات وحقائق الطاعات والأخلاق الجميلة، ومن أعظم النعم التي اختصوا بها دوام المراقبة وهي التحقق بمقام الإحسان.([2])

هذا العلم منشأه علم الدراسة، فعلم الدراسة هو اللبن الصافي السائغ شرابه، وعلم الوراثة هو الزُبد المستخرج من هذا اللبن، فإن لم يكن لبن لن يكون زبد، لذلك فإن ما يقصد بهذه الآية ﴿ **وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾"([3]) ليس هو علم الدراسة، وإنما هو علم الوراثة الذي هو ميراث التقوى([4]). أي أن علوم الصوفية اشتركت مع علوم غيرهم في المرتبة الأولى من مراتب العلم، وهي مرتبة علم اليقين، وامتازت عليه بمرتبتين أخريين: إحداهما مرتبة عين اليقين وهو ما تعطيه المشاهدة والكشف، والأخرى مرتبة حق اليقين وهو فناء([5]) العبد في الحق، والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً، ولذلك يقول "الجرجاني" في

---

١ – أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي. الملقب بطاووس الفقراء، توفي سنة ٣٧٨هـ. صوفي زاهد. يقول العلامة السخاوي عنه: كان على طريقة أهل السنة. يقول عنه صاحب طيقات الصوفية: كان أبو نصر من أولاد الزهاد، وكان المنظور إليه من ناحية الفتوة ولسان القوم، مع الاستظهار بعلم الشريعة، وهو فقيه مشايخهم.

٢ – اللمع للطوسي، ص٢٨

٣ – سورة البقرة: ٢٨٢

٤ – ياسين رشدي (١٩٩٣). التصوف ماله وما عليه. القاهرة: دار نهضة مصر. ص٤٠

٥ – الفناء الصوفي منهج للكمال والتسامي، فهو إفناء المشاعر والرغبات في شيء أكبر وأعظم، إفناء هوى النفوس وشهواتها وعواطفها وكل ما تحب فيما يحبه الله ويريده ويأمر به ليعيش الصوفي كل حركاته في موافقة

التعريفات: علم اليقين هو ظاهر الشريعة، وعين اليقين هو ظاهر الإخلاص فيها، وحق اليقين هو المشاهدة فيها.

الحق دون مخالفته، فيكون فانياً عن المخالفات باقياً في الموافقات. فالفناء الصوفي ليس فناء جسد في جسد، ولا فناء روح في روح، إنه فناء إرادة في إرادة، وأخلاق في أخلاق، وهذا الفناء هو الذي عبر عنه الحديث النبوي: "تخلقوا بأخلاق الله"، وصوره الحديث القدسي: "... ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"(رواه البخاري). فمن يصل إلى مقام الفناء فهو محجوب بالحق عن الخلق، ولا يحجبه الخلق عن الحق، ويكون قد فنى عن أفعاله وبقى بأفعال الله، فهو لا يرى إلا فعل الحق في كل شيء، فالعبد قد فنى عن نفسه ولم يرى إلا الله، ليس بعينه، وإنما يراه في كل قضاء وقدر، وفي كل حركة وسكون و... فتستوي عنده النعمة والنقمة، والصحة والمرض، والغنى والفقر، لأن كل ذلك على مراد الله تبارك وتعالى. يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى: والفناء الذي يوجد عند الصوفية يفسر بثلاثة أمور: أحدها: فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب. وهذا حق صحيح وهو محض التوحيد والإخلاص وليس لأحد خروج عن هذا. والثاني: فناء القلب عن شهود ما سوى الرب. وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه، وفي مثل هذا المقام يقع السكر الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان، وهذا في عقلاء المجانين والمولهين الذين صار ذلك لهم مقاماً دائماً، وكما أنه لا جناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل أفعالهم وكلامهم عل الصحة، ولهذا اتفق العارفون على أن حال البقاء أفضل من ذلك، وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق. والثالث: فناء عن وجود السوى. بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود، وأنه لا وجود لسواه، لا به ولا بغيره، وهذا القول والحال للاتحادية الزنادقة، وهم يقولون ذلك لا بمعنى أن قيام الأشياء به ووجودها به كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل"، وكما قال تعالى: "كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ" (سورة القصص: ٨٨) فإنهم لو أرادوا ذلك لكان ذلك هو الشهود الصحيح، لكنهم يريدون أنه هو عين الموجودات، وهذا كفر وضلال. ويقسم ابن القيم الفناء في مدارج السالكين: إلى **الفناء علماً**: أي يغيب بمعروفه وبمشهوده (الله) عن معرفته ومشاهدته بمحبوبه (الله) عن حبه وهكذا .. فكيف يقوم بحقيقة العبودية من يقول: إياك نعبد، ولا شعور له بعبوديته البتة، بل حقيقة إياك نعبد علماً ومعرفة وقصداً وإرادة وعملاً، وهذا الفناء يحمد منه فناؤه عن حب ما سوى الله، وعن خوفه ورجائه، والتوكل عليه، بحيث يبقى دين العبد ظاهراً وباطناً لله. **والفناء جحداً**: وأصله الاستغراق في توحيد الربوبية، ولا يشهد فيه ما افترقت فيه من محبة لهذا وبغضه لهذا، وصاحب هذا المقام يظن أنه صاحب الجمع والتوحيد، وإنما وصل المسكين إلى الحقيقة الشاملة التي يدخل فيها إبليس وجنوده. **وفناء خواص الأولياء وأئمة المقربين**: وهو الفناء عن إرادة السوى سالكاً سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه سبحانه فانياً بمراد محبوبه (الله) عن مراده فضلاً عن إرادة غيره، قد اتحد مراده بمراد محبوبه فصار المرادان واحداً. وليس في العقل اتحاد صحيح إلا هذا.

وعن العلم الباطن يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى: فما كان للخوارق من باب العلم .. فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة أو مناماً، وتارة بأن يعلم ما لا يعلمه غيره، وحياً أو إلهاماً أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة، ويسمى كشفاً ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات، فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة. ويؤكد ابن تيمية أن علم الباطن من العلم الذي بُعث به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأنه قسيم علم الظاهر ولا يقل عنه شأناً فيقول: وكذلك هذا الذي يقول إن محمداً بُعث بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهر([1])

يقول الإمام الطوسي في اللمع: لقد روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"([2])، وقيل للحسن البصري –رحمه الله– فلان فقيه. فقال الحسن: وهل رأيت فقيهاً قط؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بأمر دينه، يقول تعالى: ﴿ **لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ**﴾ فالدين اسم يشتمل على جميع الأحكام ظاهراً وباطناً، وليس التفقه في أحكام هذه الأحوال ومعاني هذه المقامات بأقل فائدة من التفقه في أحكام الطلاق والظهار والقصاص والحدود وغيرها، لأن تلك الأحكام ربما لا تقع في العمر حادثة تحتاج إلى علم ذلك، فإذا وقعت تلك الحادثة فمن سأل عنها قلد في ذلك، وأخذ بقول بعض الفقهاء، فقد سقط عنه فرض ذلك إلى أن تقع به حادثة أخرى. وهذه الأحوال والمقامات والمجاهدات التي يتفقه فيها الصوفية، فالمؤمنون مفتقرون إلى ذلك، وليس لذلك وقت مخصوص دون وقت، وذلك مثل الصدق والإخلاص والذكر ومجانبة الغفلة،

١ – راجع: مجموع الفتاوى، ج١١، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وانظر كشف اللثام للدكتور محمد سيد سلطان.

٢ – البخاري ومسلم.

فمن ترك حالا من هذه الأحوال ما تركها إلا من غلبة الغفلة على قلبه، يقول تعالى: ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾ ([1])

العلم والعمل في حديث الإحسان:

عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: بينما نحن عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام([2]). فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. قال: (أي عمر) فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"([3])

ولعلك تلاحظ في نهاية الحديث قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"، أي أنه جعل ذلك كله دينا، فالدين الكامل بناء على هذا الحديث هو مجموع: الإسلام والإيمان والإحسان. أي أن مفهوم الإسلام يختلف عن الإيمان

---

١ – سورة الكهف: ٢٨

٢ – لفظ الإسلام معناه التسليم والاستسلام والخضوع لله رب العالمين، وإخلاص العبادة له وحده، والسمع والطاعة له فيما أمر به ونهى عنه. وخير تعريف للإسلام ما جاء في الحديث على لسانه الشريف صلى الله عليه وسلم.

٣ – متفق عليه، والرواية من صحيح مسلم، ج١، ح٨. دار إحياء التراث العربي.

يختلف عن الإحسان، إذ أن الإسلام يطلق على الاستسلام الظاهري، أما الإيمان فيطلق على الإذعان والتصديق الباطني، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الفرق فقال تعالى: ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (١).

يقول "ابن كثير"(٢) في تفسير هذه الآية: وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه. وقال الإمام أحمد(٣): حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنهما قال: أعطى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– رجالاً ولم يعطي رجلاً منهم شيئاً، فقال سعد –رضي الله عنه–: يا رسول الله، أعطيت فلاناً وفلاناً وفلاناً، ولم تعط فلاناً شيئاً وهو مؤمن. فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أو مسلم". حتى أعادها سعد –رضي الله عنه– ثلاثاً، والنبي –صلى الله عليه

---

١ – سورة الحجرات: ١٤

٢ – هو إسماعيل بن عمر القرشي ابن كثير البصري ثم الدمشقي، عماد الدين أبو الفدا الحافظ المحدث الشافعي. ولد عام ٧٠٥هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ. كان حافظاً وفقيهاً ومحدثاً ومؤرخاً ومقرئاً ومفسراً، حتى قال عنه الحافظ بن حجر: "إنه كان من محدثي الفقهاء"، له تصانيف متنوعة في الفقه والتاريخ والتفسير والحديث الشريف (أنظر ترجمته في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة ؛ والأعلام للزركلي ؛ وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي).

٣ – أحمد بن محمد بن حنبل، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ، وتوفي سنة ٢٤١ هـ. نشأ منكباً على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفاراً كثيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والمغرب والجزائر والعراق وفارس وخراسان . أخذ عنه خلق كثيرون منهم: الإمام البخاري والإمام مسلم. ويتميز مذهبه بأنه لا يعدل عن النص سواء كان من كتاب الله أو سنة رسول الله إلى قول أحد مهما كان، ثم يأخذ بقول الصحابي، وإن كان في المسألة رأيان لصحابيين، ولم يستطع ترجيح أحدهما عن الآخر كان له روايتان. مذهبه هو المذهب الرسمي للمملكة العربية السعودية، وهناك قلة منهم في مصر والعراق وبعض إمارات الخليج العربي. من أشهر أقواله – رضي الله عنه – : "لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا" (الإعلام لابن القيم) . قال حرملة: سمعت الشافعي يقول : خرجت من العراق فما تركت رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أروع ولا أتقى من أحمد بن حنبل. (أنظر ترجمة الإمام أحمد في كتاب الزهد).

وسلم- يقول: "أو مسلم". فقد فرق النبي —صلى الله عليه وسلم- بين المؤمن والمسلم، فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام([1])

فالدين بناء على حديث جبريل -عليه السلام- له ثلاثة أركان:([2])

الإسلام: وهو الجانب العملي من عبادات ومعاملات وأمور تعبدية، ومحله الأعضاء الظاهرة الجسمانية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالشريعة، واختص بدراسته الفقهاء.

الإيمان: وهو الجانب الاعتقادي القلبي من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، واصطلح على تسميته بالحقيقة، واختص بدراسته علماء التوحيد.

الإحسان: وهو الجانب الروحي القلبي، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة، واختص ببحثه الصوفية.

فالشريعة هي الأساس، والطريقة هي الوسيلة، والحقيقة هي الثمرة، وهي أشياء متكاملة منسجمة، فالتمسك بالشريعة يؤدي إلى السلوك على الثانية ويصل به إلى الثالثة، وأما الاصطلاحات فبالإمكان حذفها ووضع غيرها، فالأمر لا يقدم ولا يؤخر شيئاً([3])

وعن الفرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة يقول الشيخ أحمد الدردير([4]): إعلم أن التصوف بمعنى العمل هو الطريقة، وأما الشريعة فهي الأحكام التي وردت عن الشارع المعبَّر عنها بالدين، وأما الحقيقة فهي أسرار الشريعة ونتيجة الطريقة، فهي علوم ومعارف تحصل

---

١ – تفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٢٠. دار الريان للتراث.

٢ – محمد سيد سلطان، مرجع سابق، ص١٢١.

٣ – الشيخ عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، (في) محمد سيد سلطان، مرجع سابق، ص١٢٣.

٤ – ولد الشيخ أحمد الدردير عام ١١٣٧هـ في بلدة بني عدي، والده الشيخ محمد الدردير، وكلمة الدردير كانت اسماً لأحد زعماء قبيلة من العرب وردت على بني عدي في ليلة اتفق أن ولد فيها جد الشيخ أحمد فسمي الجد باسم زعيم القبيلة، التحق بالأزهر وتعلم الحديث على يد الشيخ شمس الدين الحفني، والفقه على يد الشيخ الصعيدي. له مؤلفات في الفقه والتفسير والتوحيد والسيرة والقراءات وأداب البحث والبلاغة وجملة من الكتب في التصوف. بعدما توفي الشيخ علي الصعيدي عين الشيخ أحمد الدردير شيخاً على الماكية ومفتياً على المذهب المالكي. توفي إلى رحمة الله سنة ١٢٠١هـ ودفن خلف الجامع الأزهر بالقاهرة (راجع ترجمته كاملة في كتاب أبو البركات سيدي أحمد الدردير للدكتور عبد الحليم محمود).

لقلوب السالكين بعد صفائها من كدرات الطبائع البشرية. ولا شيء أقرب لصفاء القلب من كثرة ذكر لا إله إلا الله([1])

هذه الأركان الثلاثة يمكن أن تجتمع في حالة الصلاة ويمكن أن تفترق، فإذا قام المقبل على صلاته شهد قلبه قيامه لرب العالمين، ثم شهد وقوفه بالحضرة بين يدي الملك الجبار، إذ لم يكن من الغافلين، فتأخذه غيبة الحضور، ويرهقه إجلال الحاضر، ويستولي عليه تعظيم القريب، ويجمعه خشية الرقيب. فالصلاة بقيامها وركوعها وسجودها وبكل حركاتها تمثل الجانب الظاهري وهو الشريعة، ويكون حضور القلب والخشوع وعدم الغفلة تمثل الجانب الباطني وهو الحقيقة.

فإذا تلا وقف همه مع المتكلم ماذا أراد، واشتغل قلبه بالفهم عنه، فإذا ركع وقف قلبه مع التعظيم للعظيم، فلا يكون في قلبه أعظم من الله تعالى وحده، فإذا رفع شهد الحمد للمحمود، فوقف مع الشكر للودود، فاستوجب منه المزيد، وسكن قلبه بالرضا؛ لأنه حقيقة الحمد. وإذا سجد سما قلبه في العلو فقرُب من الأعلى بقوله تعالى: ﴿ **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾([2]) وأهل المشاهدة في السجود على ثلاثة مقامات: منهم من إذا سجد كوشف بالجبروت الأعلى، فسجد أمام العرش مواجهاً للوجه، ومجاوراً للملأ الأعلى، فيعلو إلى القريب، ويدنو من الحبيب، وهذا مقام المقربين من المحبوبين. ومنهم من إذا سجد كوشف بملكوت العزة، فيسجد على الثرى الأسفل فينكسر قلبه ويخبت تواضعاً وذلاً للعزيز الأعلى، وهذا مقام الخائفين من العابدين. ومنهم من إذا سجد جال قلبه في ملكوت السموات والأرض، فآب بظرائف الفوائد، وشهد غرائب الزوائد، وهذا مقام الصادقين من الطالبين. وهناك من يسجد وليس له وصف فيستحق المدح، وهم الذين يجول همهم في أعطية الملك وأنصبة المماليك، فهم محجوبون بالهمم الدنية عن الشهادة العلية، مأسورون بالهوى عن السياحة إلى الأعلى.([3])

---

١ – راجع الخريدة البهية ص ١٧٤

٢ – سورة العلق: ١٩

٣ – راجع قوت القلوب لأبي طالب المكي، ص١٢١٢.

فكل من الطريقة والشريعة عين الآخر، لا مخالفة بينهما، وكل ما خالف الشريعة مردود، وكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة، فالباطن الذي هو الطريقة والحقيقة مكمل للظاهر الذي هو الشريعة. وللشريعة ثلاثة أجزاء: علم وعمل وإخلاص. فما لم تتحقق هذه الأجزاء لم تتحقق الشريعة، وإذا تحققت الشريعة حصل رضا الحق –سبحانه وتعالى– وهو فوق جميع السعادات الدنيوية والأخروية، ورضوان من الله أكبر. فالشريعة متكفلة بجميع السعادات، والطريقة والحقيقة اللتان امتاز بهما الصوفية خادمتان للشريعة في تكميل الجزء الثالث الذي هو الإخلاص([1])

يقول شيخ الإسلام بن تيمية: والحقيقة: حقيقة الدين، دين رب العالمين، هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وإن لكل منهم شرعة ومنهاجا، فالشرعة هي الشريعة، يقول تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**﴾ ([2]) والمنهاج هو الطريق "وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً"([3]) فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، وهي عبادة الله وحده، وهي حقيقة دين الإسلام([4])

إن معارف الصوفية وعلومهم في نهاية سيرهم وسلوكهم إنما هي علوم الشريعة، لا أنها علوم أخرى غير علوم الشريعة. نعم، يظهر في أثناء الطريق علوم ومعارف كثيرة، ولكن لابد من العبور عنها، ففي نهاية النهايات علومهم علوم العلماء، والفرق بينهم وبين العلماء أن تلك العلوم بالنسبة إلى العلماء: نظرية واستدلالية، وبالنسبة إليهم تصير كشفية وضرورية. فالشريعة والحقيقة متحدان ولا فرق بينهما إلا بالإجمال والتفصيل، وبالاستدلال والكشف بالغيب والشهادة، وبالتعمل وعدم التعمل، والشريعة من ذلك: الأول، وللحقيقة الثاني([5])

---

١ – روح المعاني للألوسي ١٨/١٦.
٢ – سورة المائدة: ٤٨
٣ – سورة الجن: ١٦
٤ – أنظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.
٥ – السابق.

والذي ينبغي أن يعلم أن كلام العارفين المحققين، وإن دل على أنه لا مخالفة بين الشريعة والطريقة والحقيقة، لكنه يدل –أيضاً– على أن في الحقيقة كشوفاً وعلوماً غيبية ولذا تراهم يقولون: علم الحقيقة هو العلم اللدني([1])، وعلم المكاشفة، وعلم الموهبة والأسرار، والعلم المكنون، وعلم الوراثة، إلا أن هذا لا يدل على المخالفة، فإن الكشوف والعلوم الغيبية ثمرة الإخلاص الذي هو الجزء الثالث من أجزاء الشريعة، فهي بالحقيقة مترتبة على الشريعة ونتيجة لها([2])

١ – العلم اللدني هو ما يحصل للعبد من العلم من غير واسطة. فإما أن يكون بإلهام من الله تعالى وتعريف منه لعبده، أو من الشيطان والنفوس الخبيثة. أما العلم اللدني الإلهي: فهو ما حصل للخضر عليه السلام من غير واسطة، قال الله تعالى: "وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً" أي لم ينل العلم على يد بشر، والعلم اللدني الإلهي ينبت في القلوب الطاهرة من كدر الدنيا والانشغال بها، فإن هذه الأكدار تحجب وجه مرآة القلب عن الحقائق، فإذا جليت مرآة القلب صفت وظهرت لها الحقائق والمعارف. فهذا العلم ينبت في القلوب الصافية من الأبدان التي زكت بطاعة الله تعالى ونبتت على أكل الحلال والبعد عن الحرام. يقول بن القيم: والعلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة والصدق مع الله والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وكمال الانقياد له، فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به (راجع مدارج السالكين). بينما العلم اللدني الشيطاني يحصل لزنادقة القوم بثمرة إعراضهم عن الكتاب والسنة، يقول تعالى: "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" [النور : ٦٣]. وعموماً العلم اللدني هو كل علم موهوب من الله سبحانه وتعالى على سبيل الخصوصية، فإن اقترنت كلمة "لدن" مع الوهب الإلهي فهي دلالة العطاء على سبيل الخصوصية، ومنه قوله تعالى: "رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" [آل عمران : ٨]، أي خصنا برحمة منك. وقد ورد في الحديث: (اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك)، فهذا دليل على خصوصية التعليم الإلهي لآحاد وخواص من الخلق لقوله: (علمته أحداً من خلقك) .. وقوله صلى الله عليه وسلم: (من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم)، وقد ورد عن عدد من صحابة رسول الله الحديث عن نوعية خاصة من العلوم ليست للعوام، ومن ذلك قول الإمام عليّ عليه السلام: (اندمجتُ على مكنونِ علمٍ، لو بُحْتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية "أي الحبال، جمع حبل" في الطوى "جمع طوية وهي البئر" البعيدة (أنظر نهج البلاغة، شرح محمد عبده). وقول ابن عباس رضي الله عنهما: (لو فسرت لكم قوله تعالى: "الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن" لرجمتموني) "أنظر تفسير بن كثير"، وقول أبي هريرة –رضي الله عنه– (حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين؛ فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم) "أنظر صحيح البخاري، كتاب العلم".

٢ – زكي محمد أبو سريع (١٩٩٧). الروض النضر في لقاء الكليم بالخضر. ص١١٨

العبادة غاية الذُل بغاية المحبة:

أصل كلمة العبادة من العبدية والعبودية والعبادة، وكلها بمعنى الطاعة. والعبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم. وفي لسان العرب: أصل العبودية الخضوع والتذلل.

ويرى أبو الأعلى المودودي أن أصل معنى العبادة هو الإذعان الكلي والخضوع الكامل والطاعة المطلقة، ثم يضاف إلى هذا المعنى عنصر جديد عاطفي تتمثل فيه عبودية القلب بعد عبودية الجسد. بينما يرى محمد عبده في تفسير "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" أن الخضوع والطاعة عند اللغويين ليست هي العبادة فيقول: يغلو العاشق في تعظيم معشوقه والخضوع له غلواً كبيراً، حتى يفنى هواه في هواه، وتذوب إرادته في إرادته، ومع ذلك لا يسمى خضوعه هذا عبادة، ويبالغ كثير من الناس في تعظيم الرؤساء والملوك، فترى في خضوعهم لهم وتحريهم مرضاتهم ما لا تراه من المتحنثين القانتين، ولم يكن العرب يسمون شيئاً من هذا الخضوع عبادة. ويتسائل: فما هي العبادة إذاً؟ ويجيب على التساؤل فيقول: العبادة ضرب من الخضوع ناشئ عن استشعار القلب عظمة للمعبود فوق الإدراك والحس.

ويفسر ابن كثير نفس الآية فيقول: العبادة في الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف. وقدم المفعول وهو "**إياك**"، وكرر؛ للاهتمام والحصر أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة. والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة: "**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**". فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله عز وجل.

وموقع هذه الآية من سورة الفاتحة حبة العقد وسط آياتها، فكانت بمثابة المركز في دائرة النور، تخرج منها كل الإشعاعات، وكل أنصاف الأقطار تنبثق من قلبها أو تتمحور إليها .. إنها قلب سورة الفاتحة، بل قل خلاصة الأديان والرسالات السماوية. وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة حق الله على عباده، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك —رضي الله عنه– عن معاذ بن جبل —رضي الله عنهما– قال: كنت ردف النبي —صلى الله عليه

وسلم- ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: "يا معاذ بن جبل". قلت لبيك يا رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل". قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل". قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: "هل تدري ما حق الله على العباد؟" قلت الله ورسوله أعلم. قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً". ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل". قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "ألا يعذبهم".

يقول الإمام الجنيد: إعلم أن أول عبادة الله عز وجل معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه بالكيف والحيث والأين، فبه استدل عليه، وكان سبب استدلاله عليه توفيقه. فبتوفيقه وقع التوحيد له، ومن توحيده وقع التصديق به، ومن التصديق به وقع التحقيق عليه، ومن التحقيق جرت المعرفة بهِ، ومن المعرفة به وقعت الاستجابة له فيما دعا إليه. ويقول بن عطاء الله: العبودية في أربع خصال: الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر عن المفقود. ويقول أبا عليّ الدقاق: ليس شيء أشرف من العبودية، ولا اسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية، ولذلك قال سبحانه وتعالى في وصف النبي –صلى الله عليه وسلم- ليلة المعراج: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**﴾ ([1])

وعبادة الله سبحانه تقتضي أمرين: الأول إفراد الله بالعبادة وحده، وهذا هو التوحيد الظاهر. والآخر تجريد العبادة له، وهذا هو التوحيد الباطن. وبالطبع فإن الدعوة تبدأ أول ما تبدأ بالتوحيد الظاهر، ثم ترقى بهم بعد ذلك إلى التوحيد الباطن حتى تشرب القلوب حب الإيمان. ومقتضى الإفراد قد يتصادم بالسلب مع مستويات تعبدية ثلاثة هي([2])

١ – الرسالة القشيرية، ص٣٤٩

٢ – عبد الحميد ندا (١٩٩٧). سورة الصلاة. القاهرة: مكتبة الزهراء. ص٨٢–٨٣ بتصرف.

الأول: مستوى العبادة من دون الله. وهو الكفر الخالص الذي يعبد فيه غير الله، ويتخذ الناس فيه آلهة لأنفسهم لا يعرفون غيرها، ولا يدينون لسواها، كالذين يعبدون النجوم والشمس والشجر والبقر...الخ. وهؤلاء قال الله فيهم: ﴿ **لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ (١)

والثاني: مستوى العبادة مع الله. وهو الشرك الخالص، الذي يشرك مع الله غيره، ويتخذ الناس فيه لأنفسهم آلهة يعبدونها مع الله، كالذين يعبدون الأرواح والجن والملائكة، باعتبارها ذات تأثير باطن في الكون تؤثر في حياة الناس وأحوالهم، وفي هؤلاء يقول تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ. فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾ (٢)

والثالث: مستوى العبادة إلى الله. وهو نوع من الشرك، لا يعبد فيه الشيء مستقلاً كالنوع الأول، ولا يعبد مع غيره شراكة كالنوع الثاني، وإنما يعبد باعتباره يقرب إلى الله أو يوصل إليه، وعلى هذا كان نمط العبادة الوثنية عند بعض العرب الذين يقولون: "**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**". ومن ثم فإن صلاتهم عند البيت الحرام ليست سوى طقوس مفرغة ليس فيها روح الإيمان الخالص، وإنما هي نوع من الضجيج الفارغ ﴿ **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ (٣)

يقول الإمام الجنيد: إعلم أن الناس ثلاثة: طالب قاصد، ووارد واقف، أو داخل قائم. أما الطالب لله عز وجل فإنه قاصد نحوه باسترشاد علم الظاهر، معامل الله بجد ظاهره. أو وارد للباب واقف عليه، متبين لمواضع تقريبه إياه، بدلائل تصفية باطنه، وإدرار الفوائد عليه،

١ - سورة فصلت: ٣٧
٢ - سورة سبأ: ٤٠-٤٢
٣ - سورة الأنفال: ٣٥

معامل لله عز وجل في باطنه. أو داخل بهمّة قائم بين يديه، مُنتَف عن رؤية ما سواه، ملاحظاً لإشارته إليه، مبادراً فيما يأمر مولاه، فهذه صفة الموحد لله عز وجل.([1])

أما التوحيد الباطن فهو إخلاص التدين لله ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ**". ولئن كان التوحيد الظاهر بمثابة الامتداد الأفقي للعبادة، فإن التوحيد الباطن يعد بمثابة الامتداد الرأسي لها .. إذ هو يعبر عن عمق الإيمان بالله ورسوخه وذوبان النفس في حبه، وتناميه في القلب بهجة وجمالاً ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾ ([2]). ومع ارتقاء التدين من مرحلة إلى مرحلة يعمق إيمانه ويزداد ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ ([3]). تلك المرحلة يستكمل فيها الفرد إيمانه، ومعها يذوق حلاوة الإيمان([4]). أورد الإمام أحمد من حديث سهل بن معاذ الجهني عن أبيه، وأبو داود عن أبي أمامة الباهلي([5])، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله، فقد استكمل الإيمان".

الحب أعلى درجات العبادة:

علمنا أن تعريف الإمام محمد عبده للعبادة يتضمن: ضرب من الخضوع ناشئ عن استشعار القلب عظمة للمعبود فوق الإدراك والحس. بينما نقرأ حديث البخاري عن أنس – رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار". ويقول الإمام الغزالي: إن المحبة هي الغاية القصوى

---

١ – جوزيبي سكاتولين وأحمد حسن أنورن مرجع سابق، ص١٧٩

٢ – سورة الحجرات: ٧

٣ – سورة محمد: ١٧

٤ – عبد الحميد ندا، مرجع سابق، ص٨٥

٥ – اسمه صدى بن عجلان بن الحارث. مشهور بكنيته: أبو أمامة الباهلي. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة ومعاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت، وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين. سكن حمص بالشام. قال سفيان بن عيينة: هو آخر من مات بالشام من الصحابة. قال بن حبان: كان مع علي بصفين. مات سنة ٨٦هـ (الإصابة، ج٣ ؛ أسد الغابة، ج١).

من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، كالشوق والأنس والرضا. ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها، كالتوبة والصبر والزهد وغيرها.

أما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها، حتى أنكر بعض العلماء إمكانها وقال لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى، وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس والمثال، ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولذة المناجاة، وسائر لوازم الحب وتوابعه([1])

في حين يبرز "ابن تيمية" بجانب المعنى اللغوي للعبادة جانباً آخر لا تتحقق العبادة إلا به، ألا وهو "الحب"، فبغير هذا العنصر العاطفي الوجداني لا توجد العبادة التي خلق الله لها الخلق، فيقول في رسالته عن العبودية: العبادة أصل معناها الذل، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له. وآخر مراتب الحب هو التتيم([2])، وأوله العلاقة، لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة([3]) لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب الملازم للقلب، ثم العشق، وآخرها التتيم. يقال: تيم الله، أي عبد الله. ويقول: من خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، فلا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى.

والذين أنكروا المحبة أنكروا أن يكون إبراهيم –عليه السلام– خليلاً؛ لأن الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلا

ويوضح الإمام الغزالي أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى، ولرسوله –صلى الله عليه وسلم– فرض. وكيف يفرض ما لا وجود له؟ وكيف يفسر الحب بالطاعة، والطاعة تبع الحب وثمرته، فلابد وأن يتقدم الحب، ثم بعد ذلك يطيع من أحب. ويدل على إثبات الحب

---

١ – إحياء علوم الدين للغزالي، ج٥، ١٨١

٢ – التتيم هو التعبد والتذلل، يقال تيمه الحب أي ذله وعبده.

٣ – الصبابة: الشوق أو رقته وحرارته، وهي مصدر صب يصب، وهي شدة الحب والشوق.

لله تعالى قوله عز وجل: " **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**"، وقوله تعالى: " **وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ**" وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت. وفي الخبر المشهور أن إبراهيم –عليه السلام– قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟! فأوحى الله تعالى إليه: هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه. فقال يا ملك الموت الآن فاقبض. وهذا لا يجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه.

يقول شارح العقيدة الطحاوية: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً، فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره،([1]) فامتحنه به بذبحه، فلما استسلم لأمر ربه وعزم على فعله، فظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد إيثاراً لمحبة خليله على محبته، نسخ الله ذلك عنه وفداه بالذبح العظيم. وإذا كان إبراهيم خليلاً فقد ثبتت الخلة للنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– أيضاً، كما في صحيح مسلم أنه قال: "إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"([2])

وبهذا الشرح لمعنى العبادة ندرك أن العبادة المشروعة لابد لها من أمرين:

الأول: الطاعة والخضوع. الثاني: الحب.

---

١ – يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني في فتوح الغيب: "ألم تعلم أن الله عز وجل غيور؟ خلقك وتريد أن تكون لغيره؟ أما سمعت قول الله عز وجل: يحبهم ويحبونه؟ أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اقتناه. قيل: يا رسول الله، وما اقتناه؟ قال: لم يزر له مالاً ولا ولدا. وذلك لأنه إذا كان له مالاً وولداً أحبها فتنقص وتجزى، فتصير مشتركة بين الله عز وجل وبين غيره، والله تعالى لا يقبل الشريك، وهو غيور قاهر فوق كل شيء، غالب لكل شيء، فيهلك شريكه ويعدمه ليخلص قلب عبده له من غير شريك، فيتحقق حينئذ قوله تعالى: يحبهم ويحبونه حتى إذا تنظف القلب من الشركاء والأنداد والأهل والمال والولد واللذات والشهوات وطلب الرياسات والكرامات والحالات والمنازل والمقامات، فلا يبقى في القلب إرادة ولا أمنية، يصير كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع لأنه انكسر لفعل الله عز وجل، كلما تجمعت فيه إرادة كسرها فعل الله وغيرته، فضربت حوله سرادقات العظمة والجبروت والهيبة، فحينئذ لا يضر القلب الأسباب من مال وولد وغيره، بل يكون جميع ذلك كرامة من الله لعبده".

٢ – ابن أبي العز الحنفي (١٩٨٤). شرح العقيدة الطحاوية. (ط٢). بيروت: المكتب الإسلامي. ص٢٩٥

أما الأول فهو الالتزام بما شرعه الله ودعا إليه رسله أمراً ونهياً، وتحليلاً وتحريماً. وأساس الخضوع لله تعالى هو الشعور الواعي بوحدانيته تعالى، وقهره لكل من في الوجود وما في الوجود، فكلهم عبيده وخلقه، يقول تعالى: ﴿ **وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾ (١) وأساس الخضوع لله الواحد القهار هو الشعور الذاتي بالحاجة إلى من يملك الضر والنفع والموت والحياة، ومن له الخلق والأمر، ومن بيده ملكوت كل شيء، ومن إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، والشعور بالضعف أمام من يملك القوة، والشعور بالجهل أمام من أحاط بكل شيء علماً، والشعور بالفقر أمام من يملك كل الغنى. وكلما ازداد الإنسان معرفة بنفسه، ومعرفة بربه، ازدادت هذه المشاعر وضوحاً وقوة، فقوى اعتماده على الله وتوكله عليه وتذلله له، ومد يد الضراعة إليه، ووقف ببابه سائلاً داعياً منيباً إليه(٢)

أما الثاني: أن يصدر هذا الالتزام من قلب يحب الله تعالى. فليس في الوجود من هو أجدر من الله تعالى بأن يُحب، فهو صاحب الفضل والإحسان الذي خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً. إن أساس محبة الله تعالى هو الشعور بفضله ونعمته وإحسانه ورحمته، والإحساس بجماله وكماله. فمن كان يحب الإحسان فالله هو واهبه وصاحبه، ومن كان يحب الجمال فالله هو مصدره، ومن كان يحب الكمال فلا كمال في الحقيقة إلا كماله، ومن كان يحب ذاته فالله هو خالقه. فمن عرف الله أحبه وبقدر درجته في المعرفة(٣) تكون درجته في المحبة، ولهذا كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– أشد الناس حباً لله؛ لأنه كان أعرفهم بالله، وكانت قرة عينه

---

١ – سورة الرعد: ١٥

٢ – يوسف القرضاوي (١٩٩٣). العبادة في الإسلام. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص٣٢–٣٣ بتصرف.

٣ – المعرفة كما يقول القشيري في رسالته: هي العلم، فكل علم معرفة، وكل معرفة علم، وكل عالم بالله عارف، وكل عارف بالله عالم. وعند هؤلاء القوم: المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله تعالى في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، فحظى من الله تعالى بجميل إقباله، وصدق الله في جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبياً (غريباً) ومن آفات نفسه برياً، ومن المساكنات والملاحظات نقياً، ودام في السر مع الله تعالى مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدَّثاً من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك "عارفا" وتسمى حالته معرفة.

في الصلاة؛ لأنها الصلة المباشرة بين قلبه وبين الله، وكان في دعائه يسأل الله الشوق إلى لقائه، ولذة النظر إلى وجهه سبحانه.([1])

ألم تسمع إلى دعائه صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك، واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد". وقال الحسن البصري: من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن. وقال هرم بن حيان([2]): المؤمن إذا عرف ربه أحبه، وإذا أحبه أقبل إليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة، ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة، وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة.

قال المحاسبي([3]): إن أول المحبة الطاعة، وهي منتزعة من حب الله عز وجل، إذ كان هو المبتدئ بها، وذلك أنه عرفهم نفسه ودلهم على طاعته وتحبب إليهم، على غناه عنهم، فجعل المحبة له ودائع في قلوب محبيه، ثم ألبسهم النور الساطع في ألفاظهم من شدة نور محبته في قلوبهم. فالحب لله هو الحب المحكم الرصين، وهو دوام الذكر بالقلب واللسان لله، وشدة الأنس به، وقطع كل شاغل شغل عن الله، فإذا عظمت المعرفة بالله واستقرت هاج الخوف من الله وثبت الرجاء. قلت خوفاً لماذا؟ ورجاء لماذا؟ قال: خوفاً لما ضيعوا في سالف الأيام لازما

---

١ – السابق.

٢ – هرم بن حيان العبدي، ويقال الأزدي البصري. أحد العابدين، حدث عن عمر، روى عنه الحسن البصري وغيره، ولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان ببلاد فارس. قال بن سعد: كان عاملاً لعمر، وكان ثقة له فضل وعبادة. وعن الحسن قال: مات هرم ابن حيان في يوم صائف شديد الحر، فلما نفضوا أيديهم عن قبره جاءت سحابة تسير حتى قامت على قبره، فلم تكن أطول منه ولا أقصر، فرشته حتى روته ثم انصرفت. (سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٦٩٧ ؛ صفة الصفوة، ج٣، ص٢١٥).

٣ – هو الحارث بن أسد المحاسبي. كنيته أبو عبد الله. علم العارفين في زمانه، وأستاذ السائرين، الجامع بين علمي الظاهر والباطن، شيخ الجنيد. هو من أهل البصرة، وأستاذ أكثر البغداديين، له تصانيف مشهورة منها: كتاب الرعاية لحقوق الله، وقال الخطيب له كتب كثيرة في الزهد وأصول الديانة والرد على المعتزلة والرافضة. يقال أنه سمي المحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ (أنظر طبقات الصوفية، وطبقات الشافعية الكبرى، ج٣) والمحاسبي له ترجمة في تهذيب التهذيب ١٣٤/٢ ، وشذرات الذهب ١٠٣/١ ، والرسالة القشيرية ١٥.

لقلوبهم، ثم خوفاً ثابتاً لا يفارق قلوب المحبين، خوفاً أن يسلبوا النعم إذا ضيعوا الشكر على ما أفادهم، فإذا تمكن الخوف من قلوبهم وأشرقت نفوسهم على حمل القنوط عنهم وهاج الرجاء بذكر سعة الرحمة من الله، فهم لا يسأمون من خدمته، ولا ينزلون في جميع أمورهم إلا عند أمره، لمعرفتهم به أنه قد تكفل لهم بحسن النظر، ألم تسمع إلى قول الله: "**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ**"([1]) فدخلت النعم كلها في اللطف، واللطف ظاهر على محبته خاصة دون الخليقة، وذلك أن الحب إذا ثبت في قلب العبد لم يكن فيه فضل لذكر إنس ولا جان، ولا جنة ولا نار، ولا شيء إلا ذكر الحبيب وذكر أياديه وكرمه، وذكر ما دفع عن المحبين له من شر المقادير، كما دفع عن إبراهيم –عليه السلام– وقد أُججت النار وتوعده المعاند بالحريق، فأراه عز وجل آثار القدرة في مقامه، ونصرته لمن قصده.([2])

فالحب في نفسه استنارة القلب بالفرح لقربه من حبيبه، فإذا استنار القلب بالفرح استلذ الخلوة بذكر حبيبه، فالحب هائج غالب، والخوف لقلبه لازم، إلا أنه قد ماتت منه شهوة كل معصية، وحل الأُنس بقلبه لله، فعلامة الأُنس استثقال كل أحد سوى الله، فإذا أَلِف الخلوة بمناجاته حبيبه استقرت حلاوة المناجاة للعقل كله حتى لا يقدر أن يعقل الدنيا وما فيها. ألم يقل أحب الخلق لله: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ... الحديث".

قال أبو بكر الكتاني([3]): جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سناً، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي. فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيب، فإذا تكلم

١ – سورة الشورى: ١٩

٢ – جوزيبي سكاتولين واحمد حسن أنور، مرجع سابق، ص١٢٥–١٢٦ بتصرف.

٣ – هو محمد بن علي بن جعفر الكتاني. أصله من بغداد، صحب الجنيد، وأبو سعيد الخراز، وأبا الحسين النوري. أقام بمكة إلى أن مات بها سنة ٣٠٢هـ.

فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين.

وقد ذكر الجنيد وقال دفع لي السري رقعة مكتوب فيها:

ولما ادعيت الحب قال كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا وتذبل حتى لا تجيب المناديا
وتنحل حتى لا يُبقي لك الهوى سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح الحب الإلهي نشأ بمعناه القريب في الحياة الروحية في الإسلام في القرن الثاني الهجري، وكانت الحياة قبل ذلك يحركها عامل الخوف من الله ومن عقابه، وكان الحسن البصري أبرز ممثلي هذا الطور في حياة الزهاد والعباد الأوائل، فقد عرف عنه أنه كان يبكي من خوف الله حتى قيل "كأن النار لم تخلق إلا له". ويميل مؤرخو التصوف الإسلامي إلى القول بأن رابعة العدوية([1]) (ت ١٨٥هـ) هي أول من أخرجت التصوف من الخضوع لعامل "الخوف" إلى الخضوع لعامل الحب، وأنها أول من استخدم لفظ الحب استخداماً صريحاً في مناجاتها وأقوالها، وعلى يديها ظهرت نظرية العبادة من أجل محبة الله، لا من أجل الخوف من النار أو الطمع في الجنة.

وكان الصوفية قبل رابعة يترددون في قبول كلمة الحب، فمالك بن دينار ([2]) الصوفي (ت ١٣١هـ) كان يتحاشى لفظ الحب، ويستخدم بدلاً منه "الشوق"، وعبد الواحد بن

١ – هي رابعة بنت إسماعيل مولاة آل عتيك العدوية البصرية العابدة المشهورة. ذكرها أبو نعيم في الحلية والرسائل، وابن الجوزي في صفة الصفوة، والسهروردي في المعارف. وأثنى عليها أكثر الناس. دخل عليها سفيان الثوري فرفع يده وقال: اللهم إني أسألك السلامة، فبكت رابعة، فقال: ما يبكيكِ؟ قالت: أنت عرضتني للبكاء. فقال: وكيف؟ قالت: أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها، فكيف وأنت متلطخ بها. وقال الثوري: واحزناه. فقالت لا تكذب، قل واقلة حزناه، لو كنت محزونا ما هناك العيش. توفيت بالقدس الشريف سنة ١٨٥هـ.

٢ – هو أبو يحيى مالك بن دينار. كان مولى لامرأة من بني سامة بن لؤى. ولد في البصرة وصار مثلاً رائعاً يضرب به في الزهد، وكان ينسخ المصاحف، وتنسب إليه أقوال قرأها في التوراة. لم يكن يخشى بطش الحكام، فيروى أنه دخل على والي البصرة فقال له الوالي: أدع لي. فقال: كم من مظلوم بالباب يدعو عليك. اختلف في تاريخ وفاته إلا أن أرجح تقدير أنه توفي في البصرة سنة ١٣٠هـ أو ١٣١هـ إذ أنه توفي قبل الطاعون الذي انتشر في البصرة سنة ١٣١هـ.

زيد[1] (ت ٧٧هـ) كان يفضل لفظ "العشق" في أقواله. ومع رابعة بدأت كلمة الحب الإلهي تأخذ مكانها في أقوال الزهاد ممن جاءوا بعدها مثل معروف الكرخي[2]، والمحاسبي، وذي النون المصري[3]. وقد جمع القشيري في رسالته تعريفات عديدة لمعنى المحبة الإلهية، كما أحصى ابن القيم في مدارج السالكين ثلاثين تعريفاً للمحبة بالمعنى الصوفي.

ومن العلماء من يرى أن تعريف المحبة يستعصي على العبارة للطافتها، وصاحب عوارف المعارف "السهروردي" يقسم الحب إلى عام وخاص. أما العام فهو ثمرة امتثال الأوامر واجتناب النواهي وهو من "المقامات" لأن للسالك مدخلاً في اكتسابه، أما الخاص فهو ما ينشأ عن انكشافات الروح، وهذا النوع من "الأحوال" وليس للعبد كسب فيه. ونظرية الحب الإلهي مستقاة في أصولها من معاني أسماء الله الحسنى وصفاته كالودود واللطيف والرحيم، ومن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن الحب الإلهي.

---

١ – قال الحارث بن عبيد: كان عبد الواحد بن زيد يجلس إلى جنبي عند مالك بن دينار، فكنت لا أفهم كثيراً من موعظة مالكلكثرة بكاء عبد الواحد. وقال مالك بن ضيغم: سمعت بكر بن مصاد يقول: ألا تبكون شوقاً إلى الله عز وجل؟ إنه من بكى شوقاً إلى سيده لم يحرمه النظر إليه. (صفة الصفوة، ج٣، ص ٣٢٣)

٢ – هو أبو محفوظ معروف بن فيروز أو الفيرزان، ويقال أيضاً معروف بن علي. كان من أصل فارسي وأسلم على يد علي بن موسى الرضا، فعاش في حي الكرخ ببغداد، لذلك لُقب بالكرخي. صحب معروف الكرخي داود الطائي، كما أنه كان أستاذاً للسري السقطي. كان يرفض المجادلات الكلامية المنتشرة عند علماء المسلمين، مفضلاً الأعمال على الأقوال، وله في هذا الصدد قول مشهور: "إذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل. وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل". توفي سنة ٢٠٠هـ.

٣ – هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري الملقب بذي النون المصري. وهو أبرز شخصية صوفية مصرية في القرن الثالث الهجري، ولد في أخميم، بلدة في صعيد مصر، من أسرة قيل أنها نوبية الأصل، وتعلم في تلك البلدة العلوم الدينية، ثم قام بأسفار عديدة. كان على معرفة واتصال بعدد كبير من الصوفية المعاصرين له أمثال معروف الكرخي، وأبو يزيد البسطامي. امتُحن في قضية خلق القرآن فسجن لأنه أقر بقدم القرآن، وأفرج عنه الخليفة المتوكل. بعدما رجع من بغداد استقر في مصر حيث توفي سنة ٢٤٦هـ.

محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

فمن كان محباً لله لزم أن يتبع الرسول وأن يكون محباً له، وقد أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالمحبة فقال: "أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله إياي"([1]) وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين". وتوعد الله من كان أهله وماله وولده أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ ([2]).

يقول القاضي عياض([3]): كفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته صلى الله عليه وسلم، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم، إذ قرَّع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى:" **فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ**"، ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله([4]).

---

١ – الترمذي من حديث ابن عباس.

٢ – سورة التوبة: ٢٤

٣ – هو عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى القاضي أبو الفضل اليحصبي السبتي المراكشي المحدث المالكي. (٤٧٦هـ/٥٤٤ – ١٠٨٣م/١١٤٩م). عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. من أهل سبتة، مدينة معروفة بالمغرب، ولي القضاء بها، ثم قضاء غرناطة. قال عنه النووي: إمام بارع متمكن في علم الحديث والأصولين (أصول الدين وأصول الفقه). له مصنفات كثيرة منها: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، وغنية الكاتب وبغية الطالب، وكتاب العقيدة، ومشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث، وغيرها كثير. توفي رحمه الله في مراكش مسموماً، قيل سمه يهودي (حسب رواية الزركلي في الأعلام) سنة ٥٤٤هـ (أنظر ترجمته في: الأعلام للزركلي، وهدية العارفين).

٤ – الشفا، ص ١٥

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله". وعن عبدة بنت خالد بن معدان، قالت: ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، يسميهم ويقول: هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم. وعن عمر بن الخطاب قال للعباس –رضي الله عنهما–: أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب؛ لأن ذلك أحب إلى رسول الله.

وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقالت: ما فعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟ قالوا: خيراً هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل. ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة(١) من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك يضرب عنقه، وإنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي.

ومن محبته صلى الله عليه وسلم أن تظهر علامات الحب عليك وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسرك وسرك ومنشطك ومكرهك، وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسك. ومن علاماته مع كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم تعظيمه وتوقيره عند ذكره، وإظهار الخشوع والانكسار عند سماع اسمه. قال إسحاق التجيبي: كان أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا، وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له

١ – زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر. شهد بدراً أحداً واستؤثر يوم الرجيع مع خبيب بن عدي فباعوهما من قريش فقتلا بمكة. وكان الذي ابتاع زيداً صفوان بن أمية فقتله بأبيه.وكان قتله سنة ثلاثة من الهجرة. (أنظر ترجمته في صفة الصفوة، ج١، ص٦٤٧ ؛ وأسد الغابة ج١، ص٦٦).

وشوقاً إليه. وكيف لا وهو القائل صلى الله عليه وسلم: "أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الناس تبعاً"، وفي رواية: "وأنا أول من يقرع باب الجنة"([1])

قال مطرف([2]): كان إذا أتى الناس مالكاً خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ: تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم. وإن قالوا الحديث، دخل مغتسله، واغتسل وتطيب، ولبس ثياباً جدداً، ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه، وتلقى له منصة، فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقيل لمالك في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا أحدث به إلا عن طهارة متمكناً. وقال ابن مهدي: مشيت يوماً مع مالك إلى العقيق، فسألته عن حديث، فانتهرني وقال لي: كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله —صلى الله عليه وسلم- ونحن نمشي.([3])

ومنها محبتك لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم من آل بيته وصحابته، وعداوة من عاداهم، وبغض من أبغضهم. واسمع إلى زيد ابن أرقم —رضي الله عنه- وهو يقول: قام رسول الله —صلى الله عليه وسلم- يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُمًّاً بين مكة والمدينة. فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: "أما بعد. ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسولُ ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: "وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي... " الحديث.([4]) قال الصبان في "إسعاف الراغبين": ومعنى أذكركم الله في أهل بيتي أحذركم الله في شأن أهل بيتي. وقال بن علان في "شرح رياض الصالحين": وفي تكريره تأكيد الوصاية بهم وطلب العناية بشأنهم، فيكون من قبيل الواجب المؤكد المطلوب على طريق الحث.

---

١ - أنظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢، ح ٣٣١ ، ٣٣٢

٢ - هو عبد الله ابن الشخير العامري البصري. أحد ثقات التابعين وعبادهم.

٣ - أنظر الشفا، ص٣٤

٤ - صحيح مسلم، ح ٢٤٠٨

يقول الإمام النووي([1]) شارح صحيح مسلم: قوله صلى الله عليه وسلم: "وأنا تارك فيكم ثقلين فذكر كتاب الله وأهل بيته" قال العلماء: سميا ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما. وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: خرج النبي –صلى الله عليه وسلم– غداةٌ وعليه مِرطٌ مُرَحَّلٌ من شعرٍ أسود، فجاء "الحسن بن علي" فأدخله ثم جاء "الحسين" فدخل معه ثم جاءت "فاطمة" فأدخلها ثم جاء عليٌّ فأدخله ثم قال: ﴿ **إِنَّـمَا يُرِيدُ اللّـهُ لِيـُذْهِبَ عَـنكُمُ الرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ ([2])([3]). وعن عمر بن أبي سلمة: لما نزلت: ﴿**إِنَّـمَا يُرِيدُ اللّـهُ لِيـُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا**﴾ وذلك في بيت أم سلمة، دعا فاطمة وحسناً وحسيناً، فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكسائه ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً"([4]).

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– لم يرزق بأبناء بعد السيدة فاطمة([5]) –رضي الله عنها– إلا إبراهيم من والدته المصرية ماريا –رضي الله عنها– ومات صغيراً، كما مات جميع

---

١ – هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الخزامي الحوراني الشافعي. ولد عام ٦٣١هـ. يقول عنه ابن العطار (أحد تلاميذه): كان حافظاً للحديث وفنونه ورجاله وصحيحه وعليله. وكان يمتنع عن أكل الفاكهة والخيار ويقول: أخاف أن يرطب جسمي ويجلب النوم، وكان يأكل في اليوم والليلة أكلة، ويشرب شربة واحدة عند السحر. من تصانيفه: شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، والأذكار، والأربعين، والتقريب، والفتاوى، والروضة، والإرشاد في علوم الحديث، وشرح المهذب. توفي في الرابع والعشرين من رجب سنة ٦٧٦هـ.

٢ – سورة الأحزاب: ٣٣

٣ – صحيح مسلم، ح ٢٤٢٤

٤ – أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٥٦٢

٥ – لها رضي الله عنها بمسند الإمام أحمد عشر آثار فقط، لها نفعها لمفيد، وأكثرها بركة ما يردده رواد المساجد دخولاً وخروجا صباحا ومساء، عن عبد الله بن حسن عن أمه فاطمة بنت حسين عن جدتها فاطمة بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك". وقد عهدنا في قلة الرواية عن لدى أهل البيت مدى ما يتلوها من انتشار عجيب إلى يوم الدين. قال أبو الحوراء السعدي للحسن: ما تذكر من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟ فأجابه: كان يعلمنا هذا الدعاء: "اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت" وهو

أبنائه –صلى الله عليه وسلم– عدا فاطمة –رضي الله عنها– فهي الوحيدة التي بقى منها عقب البيت النبوي إلى يوم الدين، فكانت هي كنز النبوة ونورها الدائم الكريم الثاقب.

وعن أم سلمة –رضي الله عنها– قالت: جاءت فاطمة بنت النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– متوركة الحسن والحسين، في يدها برمة للحسن، فيها سخين، حتى أتت بها النبي –صلى الله عليه وسلم– فلما وضعتها قدامه قال لها: "أين أبو الحسن؟" قالت في البيت. فدعاه. فجلس النبي –صلى الله عليه وسلم– وعلي وفاطمة والحسن والحسين يأكلون، قالت أم سلمة: وما سامني النبي –صلى الله عليه وسلم– وما أكل طعاماً قط إلا وأنا عنده إلا سامنيه قبل ذلك اليوم (أي دعاني إليه) فلما فرغ التف عليهم بثوبه ثم قال: "اللهم عاد من عاداهم ووال من والاهم"([1])

وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في حق سيدنا الحسن والحسين: "اللهم إني أحبهما فأحبهما"([2]). وقال: "من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله". وقال في حق علي –رضي الله عنه–: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"([3]). بل إن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يقول للناس حين تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– : ألا تهنئوني؟ سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببي ونسبي"([4]).

والمحبة كما عرفها بعضهم هي دوام الذكر للمحبوب، وقال آخرون هي الشوق إلى المحبوب، وقال بعضهم هي مواطأة القلب لمراد الرب، يحب ما أحب، ويكره ما كره. وإذا كان

دعاء يندر أن يفوت مسلماً أو مسلمة في الوتر بعد العشاء أو في قنوت الفجر. (انظر صبية صحابة وصبايا صحابيات للدكتور علي أحمد الخطيب. مجلة الأزهر، عدد جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ).

١ – رواه أبو يعلي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناده جيد.

٢ – أخرجه البخاري.

٣ – أخرجه الحاكم في المستدرك، والنسائي في السنن الكبرى، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٧٥٠

٤ – أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٣/٩ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهيل وهو ثقة.

الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفاً، أو استنقذه من هلكة أو مضرة، فمن منحه ما لا يبيد من النعم ووقاه مالا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب، فأي إحسان أجل قدراً وأعظم خطراً من إحسان النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى جميع المؤمنين، وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين، فهو الداعي إلى الفلاح، والمنقذ من العماية، ووسيلتنا إلى الله، وشفيعنا عند الله.([1])

واعلم أن حرمة النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد موته، وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته. ولك أن تعلم أن صحابته كادوا يقتتلون على ماء وضوءه، حتى إذا بصق أو تنخم تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم، وعن أنس: لقد رأيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والحلاق يحلقه، وقد أطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل. لقد كانت في قلنسوة خالد بن الوليد –رضي الله عنه– شعرات من شعره –صلى الله عليه وسلم– فسقطت قلنسوته في بعض حروبه، فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– كثرة من قتل فيها، فقال: لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم، لئلا أُسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين.([2])

وعن أنس بن مالك قال: دخل علينا النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال عندنا. فعرق. وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلُتُ العرق فيها. فاستيقظ النبي –صلى الله عليه وسلم–فقال: "يا أم سُليم: ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقُكَ نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب"([3]). وفي رواية أخرى من حديث أنس أيضاً بها زيادة، حيث قالت أم سليم: نرجو بركته لصبياننا. قال: "أصبت". وعن الجعد بن عبد الرحمن قال: سمعت السائب بن يزيد

١ – أنظر الشفا، ص ٢٨–٣٠

٢ – راجع الشفا، ص٤٢

٣ – صحيح مسلم، ح ٢٣٣١

يقول: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–. فقالت: يا رسول الله: إن ابن أختي وَجِعٌ. فمسح رأسي ودعا لي بالبركة. ثم توضأ فشربت من ماء وضوئه... الحديث([1])

وكيف لا يُحب النبي –صلى الله عليه وسلم– أكثر من ذلك وقد أحب أمته حتى قال: "لكل نبي دعوة يدعوها، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة"([2]). يقول الإمام النووي: وفي هذا الحديث بيان كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ورأفته بهم، واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة، فأخر دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجاتهم.([3]) بل أخرج الإمام مسلم من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي** ﴾، وقال عيسى عليه السلام: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾، فرفع يديه صلى الله عليه وسلم وقال: "اللهم أمتي أمتي" وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل إذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل –عليه السلام– فسأله. فأخبره رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل إذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. وهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾.

ولذلك قال القاضي عياض: وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارس آيات، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة

١ – أنظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج٨، ص١٠٨، ح ٢٣٤٥
٢ – أخرجه مسلم من طريق أبي هريرة، ح ٣٣٤
٣ – شرح النووي على مسلم، ج٢، ص٧٨

وفاض عبابها، ومواطن طويت فيها الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتُتنسم نفحاتها، وتقبل ربوعها وجدرانها:([1])

يا دار خير المرسلين ومن به هُدى الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات
وعليّ عهد إن ملأت محاجري من تلكم الجدران والعرصات
لأعفّرن مصون شيبي بينهما من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها أبداً ولو سحباً على الوجنات
لكن سأُهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات
أزكى من المسك المفتَّق نفحة تغشاه بالآصال والبركات
وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات

النبوة والرسالة والولاية:

النبوة والنباوة الارتفاع. والنبي: العلم من أعلام الأرض التي يهتدى بها، ومنه اشتقاق النبي؛ لأنه أرفع خلق الله. وكانت كلمة النبوة عند بني إسرائيل تفيد معنى الإخبار عن الله، ولذا كانت تطلق على من يتخرجون من المدارس الدينية، ولم تفرق الكتب المقدسة قبل الإسلام في حديثها عن الأنبياء بين من يتلقون الوحي من الله، ومن يدرسون الشريعة ويشرحونها. وحين نزل القرآن الكريم حدد معنى النبوة، فوضح أن النبي هو ما نزل عليه وحي من الله.

واعلم أن هناك فرق بين النبي والرسول، فمن نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول. فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول. وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه، وخصوصاً رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**

١ – الشفا، ج٢، ص٤٣

وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (١). والنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– خاتم الأنبياء وإمام المتقين وسيد المرسلين، قال تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾ (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع"(٣).

إن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى سبل الرشاد، وأنزل معهم الكتب وأمرهم أن يعملوا بها، وأن يعلموا قومهم ليعملوا بمثل عملهم، وقد أورد الله تعالى في كتابه الكريم قصص الأنبياء، وبين مواضع العظة والعبرة من حياتهم، وقال تعالى: ﴿**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ (٤). وقد عرفنا رب العزة سبحانه أنه قد أيد الأنبياء والمرسلين بالآيات البينات والمعجزات الباهرات، ومن ذلك أن أيد نوحاً عليه السلام بالطوفان، وأيد صالحاً عليه السلام بالناقة، وأيد إبراهيم عليه السلام بالنار وكانت برداً وسلاماً، وأيد موسى عليه السلام بالعصا في تسع آيات مفصلات، وأيد داود عليه السلام فألان له الحديد، وأيد سليمان عليه السلام بأن علمه منطق الطير، وسخر له الجن، وسخر له الريح، وأيد عيسى عليه السلام بأن أبرأ له الأكمه والأبرص، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير فتصير طيراً بإذن الله، وأن يحي الموتى بإذن الله، وأيد محمداً صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة منها القرآن الكريم. فهل بقيت معجزة نبي من الأنبياء سوى القرآن الكريم؟ وذلك لأن الرسالة الخاتمة يناسبها المعجزة الباقية.

أما الولاية، فمنها الولي، وهو الناصر، وهو لفظ مشترك بين الله تعالى وبين العبد المؤمن الذي تتأتى منه النصرة والغلبة، يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي**

١ – سورة آل عمران: ١٦٤
٢ – سورة الأحزاب: ٤٠
٣ – رواه مسلم من حديث أبو هريرة.
٤ – سورة الأنعام: ٩٠

وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء ﴾ (١). يقول التفتازاني: الولي هو العارف بالله وصفاته، المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وإن كانت من المباحات(٢). ولقد سمي الولي وليا لأن الله تعالى تولى أمره، فلم يكله إلى نفسه، ولا إلى غيره، ولأنه يتولى عبادة الله على الدوام من غير أن يتخللها عصيان، وكلا المعنيين واجب تحققه حتى يكون الولي ولياً.

ويقول الإمام القشيري في رسالته: الولي من توالت طاعته من غير تخلل معصية، وهو الذي يتولى الحق سبحانه وتعالى حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدر الطاعة، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** ﴾ (٣) وقال: إن الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير، وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكراً، وهو يستشعر الخوف دائماً وأبداً، لخوف سقوطه عما هو فيه، وأن تكون عاقبته بخلاف حاله. وقال أبو علي الجوزجاني: الولي هو الفاني في حاله، الباقي في مشاهدة الحق سبحانه وتعالى، تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولي، لم يكن له عن نفسه إخبار، ولا مع غير الله إقرار.

يقول يحي بن معاذ(٤) في صفة الأولياء: هم عباد تسربلوا بالأنس بالله تعالى بعد المكابدة، واعتنقوا الروح (أي الراحة والنعيم) بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية.

---

١ – سورة الممتحنة: ١

٢ – المباح هو ما خيّر الشارع المكلف بين فعله وتركه. فلم يطلب الشارع أن يفعل المكلف هذا الفعل ولم يطلب أن يكف عنه. وتارة تثبت إباحة الفعل بالنص الشرعي على إباحته، كقوله تعالى: "وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء" [البقرة: ٢٣٥]. وتارة تثبت إباحة الفعل بالإباحة الأصلية؛ لأن الأصل في الأشياء الإباحة. (أنظر عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، ص ١١٥ بتصرف).

٣ – سورة الأعراف: ١٩٦

٤ – هو أبو زكريا يحي بن معاذ الرازي نسبة إلى الري، مدينة مشهورة. خرج إلى بلخ وأقام بها مدة، ثم رجع إلى نيسابور. كان له ثلاثة إخوة كلهم زهاد. كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، له سطوة تكف الأيدي عن الجور. من أقواله: الزهد ثلاثة أشياء: القلة والخلوة والجوع. له أيضاً: من خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية. توفي سنة ٢٥٨هـ، وقبره بنيسابور.

والولي مشتق من الولاء وهو الدنو والقرب، فولي الله هو من والى الله بموافقته محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته، وهؤلاء كما قال الله تعالى فيهم:﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً**﴾"([1]). قال أبو ذر –رضي الله عنه–: لما نزلت الآية قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يا أبا ذر، لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم"([2]). فالمتقون يجعل الله لهم مخرجاً مما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع عنهم المضار، ويجلب لهم المنافع، ويعطيهم الله أشياء يطول شرحها من المكاشفات والتأثيرات([3])

والولاية ثابتة للمؤمنين المتقين كما قال تعالى: ﴿ **ألا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾ ([4]). وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: إن الله تعالى قال: "مَن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُهُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحِبه، فإذا أحببته كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به وبصرهُ الذي يُبصِرُ به ويدهُ التي يُبطشُ بها ورجلَهُ التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"([5])

وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم–: "يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما اقترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته"([6]).

---

١ – سورة الطلاق: ٢

٢ – رواه أحمد والحاكم بسند فيه انقطاع.

٣ – أنظر شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ص ٣٦٠-٣٦١

٤ – سورة يونس: ٦٢-٦٣

٥ – رواه البخاري

٦ – أخرجه البخاري، لكن لفظ البارزة ليس عند البخاري، وإنما عند غيره من حديث أبي أمامة.

لاحظ أن الله تعالى حدد الأولياء في سورة يونس بصفتين هما: الإيمان، والتقوى. فما هو الإيمان، وما هي التقوى.

أولاً– الإيمان.

أفضل تعريف للإيمان هو ما عرفه النبي –صلى الله عليه وسلم– حينما سأله جبريل –عليه السلام– قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. وقد علمنا فيما سبق أن الإيمان أخص من الإسلام، إذ الإيمان هو إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، وقال بعضهم أن الإقرار باللسان ركن زائد، حيث تم تحصيله في مرحلة سابقة على الإيمان، ألا وهي الإسلام. والإيمان عند أهل السنة قول وعمل، والقول هو الإقرار باللسان والتصديق القلبي، ويكون العمل للجوارح. والإيمان كما علمنا من حديث الإحسان هو الجانب الاعتقادي القلبي من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، واصطلح على تسميته بالحقيقة عند الصوفية، وهو التوحيد الخالص المستمد من قول الله تعالى: ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين**﴾.

هذا هو الإيمان بحالته المحمودة التامة. وأما الحالُ المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب، وهذا هو النفاق، قال الله تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ (١). أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم، وهم لا يعتقدونه، فلما لم تصدِّق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فخرجوا عن اسم الإيمان، ولم يكن لهم في الآخرة حُكمه؛ إذ لم يكن معهم إيمان، ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار، وبقى عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام، إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر، ولا أمروا بالبحث عنها، بل نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن التحكم عليها،

١ – سورة المنافقون: ١

وذم ذلك وقال: "هلا أشققت عن قلبه"([1]). والفرق بين القول والعقد ما جُعل من حديث جبريل: الشهادة من الإسلام، والتصديق من الإيمان([2])

ويوضح شارح العقيدة الطحاوية أن الإيمان درجات تتفاوت في القلوب بتفاوت درجات نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها ولا يحصيها إلا الله، فمن الناس من نور لا إله إلا الله في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف. ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بإيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علماً وعملاً، وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته، بحيث إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنباً إلا أحرقه، وهذه حال الصادق في توحيده، فسماء إيمانه قد حُرس بالرجوم من كل سارق. ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله"([3])

والنبي –صلى الله عليه وسلم– لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب([4]).

ثانياً– التقوى.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ ([5]). والمراد من التقوى بينه الله تعالى في قوله: "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا

١ – متفق عليه.
٢ – الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ج٢، ص٥
٣ – متفق عليه.
٤ – شرح العقيدة الطحاوية، ص٣٣٤
٥ – سورة آل عمران: ١٠٢

اسْتَطَعْتُمْ"([1]). وعن ابن مسعود –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يقول: "اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى"([2]).

والتقوى لغة قلة الكلام، وقد استعملت بمعنى عام في الصيانة والحذر والوقاية واجتناب ما هو مكروه أو ضار. واصطلاحاً هي التحرز من عقوبة الله تعالى بطاعته واتباع أوامره واجتناب نواهيه. وقد سأل عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أبيا عن التقوى فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال نعم. قال فما عملت فيه؟ قال تشمرت وحذرت. قال فذاك التقوى.([3])

وتقوم التقوى –في جوهرها– على استحضار القلب لعظمة الله تعالى، واستشعار هيبته وجلاله وكبريائه، والخشية لمقامه، والخوف من حسابه وعقابه. ويمتد نطاق التقوى ليشمل كل ما فيه معنى المخالفة حتى لو كان من اللمم أو الصغائر، وقد فهمت التقوى على هذا الفهم منذ عهد الصحابة اللذين قال قائلهم: لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر من عصيت. بل إنهم جعلوا من تمام معناها أن تتضمن الورع عن بعض ما هو طيب أو حلال حذراً من مقاربة الحرام([4])، وفي ذلك يقول أبو الدرداء: تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حراماً. وهذا المعنى له أصل

---

١ – سورة التغابن: ١٦

٢ – رواه مسلم

٣ – تفسير القرطبي، ١: ١٤٠

٤ – الحرام هو ما طلب الشارع الكف عن فعله طلباً حتماً، بأن تكون صيغة طلب الكف نفسها دالة على أنه حتم كقوله تعالى: "قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ" [الأنعام : ١٥١]، أو يكون النهي عن الفعل مقترناً بما يدل على أنه حتم مثل قوله تعالى: "وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً" [الإسراء : ٣٢]. أو يكون الأمر بالاجتناب مقترناً بذلك نحو قوله تعالى: "إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[المائدة : ٩٠]. والمحرم قسمان: الأول ما كان محرم لذاته، أي أنه فعل حكمه الشرعي التحريم من الابتداء، كالزنا والسرقة والصلاة بغير طهارة، وغير ذلك مما حرم تحريماً ذاتياً، والثاني محرم لعارض أي أنه فعل حكمه الشرعي ابتداء الوجوب أو الندب أو الإباحة ولكن اقترن به عارض جعله محرماً كالصلاة في ثوب مغصوب، والبيع الذي فيه غش، والزواج المقصود به مجرد تحليل الزوجة لمطلقها ثلاثاً، وغير ذلك لما عرض له التحريم لعارض، فليس التحريم لذات الفعل، ولكن لأمر خارجي.

صحيح في السنة، فعن عطية السعدي قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس"(١). وليست التقوى كما يفهم من معناها اللغوي وبعض استعمالاتها الشرعية مقصورة على الحذر واجتناب المعاصي، بل إنها تتضمن –كذلك– جانب الفضائل والطاعات العملية الإيجابية، ويظهر هذا في العديد من الآيات القرآنية، ولعل أكثرها دلالة على هذا التكامل قوله تعالى: ﴿**لَّـيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَـنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَـالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَـامَى وَالْـمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِـي الرِّقَـابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَـى الزَّكَـاةَ وَالْمُوفُـونَ بِعَـهْـدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِـي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِـينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّـذِينَ صَـدَقُوا وَأُولَئِكَ هُـمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ (٢).

وأهل التقوى هم أهل المحبة ﴿**بَلَى مَـنْ أَوْفَـى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَـإِنَّ اللّهَ يُحِـبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾(٣). وقد وصفت الجنة بأنها دار المتقين ﴿ **وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (٤). وقد جعل الله التقوى من أعظم أسباب البركة في الأرزاق، ومن أعظم أسباب تفريج الكربات، وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "اتق الله حيثما كنت". رواه الديلمي في كتاب الرق.

ولا ريب أن الرجل كلما عظُمت ولايته، وعظُم نصيبه من انكشاف الحقائق له كان تعظيمه للنبوة أعظم، والناس في هذه الطريق متفاوتون بحسب درجاتهم(٥). ولا يتصور أن الولي يُعطى ما أُعطيه النبي من المشاهدة والمخاطبة، فأفضل الأولياء أبو بكر وعمر وعثمان

١ – أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه.
٢ – سورة البقرة: ١٧٧
٣ – سورة آل عمران: ٧٦
٤ – سورة النحل: ٣٠
٥ – شرح العقيدة الإصفهانية، مرجع سابق، ص٣٠١

وعليّ –رضي الله عنهم– وليس فيهم من شاهد ما شاهده النبي –صلى الله عليه وسلم– ليلة المعراج، ولا سمع أحد منهم كلام الله الذي كلم به نبيه ليلة المعراج، ولا سمع عامة الأنبياء – فضلاً عن الأولياء–

والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة. ولا يفيد العلم بحقيقة النبوة إلا أن يعترف الولي أن النبي أعلم منه، فلا يمكنه أن يقول هو أعلم منه، فكل من حصل له من المخاطبات والمشاهدات ما يحصل للأولياء، فإنه يعلم أن الذي للأنبياء فوق الذي له من ذلك، كعمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فقد ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إنه قد كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثُون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر"(١) وكان عمر بهذا يعلم أن ما يأتي النبي –صلى الله عليه وسلم– من الوحي والملائكة، وما يخبر به من الغيب، وما يأمر به وينه عنه أمر زائد على قدره وجاوز لطاقته، بل يجد بينه وبين ذلك من التفاوت ما يعجز القلب واللسان عن معرفته وتبيانه، بل كان عمر بما حصل له من المكاشفة والمخاطبة يعلم أن أبا بكر الصديق –رضي الله عنهما– أكمل منه معرفة، وأعلم منه بقدر الرسول – صلى الله عليه وسلم– فكان خضوع عمر هذا الذي هو أفضل الأولياء المحدثين الملهمين المخاطبين لأبي بكر الصديق كخضوع من رأى غيره من مشاركيه في فئة أكمل منه(٢).

وقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "فإن يكن في أمتي أحد"، يقول بن حجر: إن أمته أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وجد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنما أورده مورد التأكيد، كما يقول الرجل: إن يكن لي صديق فإنه فلان، يريد اختصاصه بكمال الصداقة، لا نفي الأصدقاء(٣)

والأحكام والتكليفات عامة في جميع المكلفين، على حسب ما كانت بالنسبة إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلا ما خُص به، كذلك المزايا والمناقب، فما من مزية

١ – أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب المناقب.
٢ – شرح العقيدة الإصفهانية، ٢٩٨–٢٩٩ بتصرف.
٣ – كشف اللثام، مرجع سابق، ص١٠٧.

أُعطيها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سوى ما وقع استثناؤه– إلا وقد أُعطيت أمته منها أنموذجاً، فهي عامة كعموم التكاليف، وقد ظهر ذلك من مواضع كثيرة مثل: ([1])

الصلاة من الله تعالى: قال الله تعالى في النبي –صلى الله عليه وسلم–: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ ([2]) وقال في حق الأمة: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**﴾ ([3]). وأيضاً العطاء حتى الرضا: قال تعالى في حق النبي –صلى الله عليه وسلم–: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾([4])، وقال في حق الأمة: ﴿**رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ**﴾ ([5]). ومنه إتمام النعمة: قال تعالى في حق النبي –صلى الله عليه وسلم–: ﴿**وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً**﴾ ([6]). وفي حق الأمة يقول تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾.

ومنه شرح الصدر: يقول تعالى في حق نبيه –صلى الله عليه وسلم–: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ ([7]). وقال في الأمة: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾ ([8]). وفي المعاداة لله والمولاة لله يقول تعالى في حق النبي –صلى الله عليه وسلم–: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ**﴾ ([9])، وفي حق الأمة يقول الله في الحديث القدسي: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب". وعن الوحي والنبوة يقول تعالى

---

١ – أنظر الموافقات للشاطبي، ج٢، ص٢١٣ وما بعدها.
٢ – سورة الأحزاب: ٥٦
٣ – سورة الأحزاب: ٤٣
٤ – سورة الضحى: ٥
٥ – سورة المائدة: ١١٩
٦ – سورة الفتح: ٢
٧ – سورة الشرح: ١
٨ – سورة الزمر: ٢٢
٩ – سورة الأحزاب: ٥٧

في حق النبي –صلى الله عليه وسلم-: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** ﴾ ([1])، ويقول النبي –صلى الله عليه وسلم- في حق الأمة: "الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزاءً من النبوة"([2]).

واعلم أن جميع ما أعطيته هذه الأمة من المزايا والكرامات والمكاشفات والتأييدات وغيرها من الفضائل، إنما هي مقتبسة من مشكاة نبينا صلى الله عليه وسلم، لكن على مقدار الاتباع، فلا يظن ظان أنه حصل على خير بدون وساطة نبوته، كيف وهو السراج المنير الذي يستضيء به الجميع، والعلم الأعلى الذي يهتدي في سلوك الطريق.

وكل ما نقل عن الأولياء أو العلماء، أو ينقل إلى يوم القيامة من الأحوال والخوارق والعلوم والفهوم وغيرها فهي أفراد وجزئيات داخلة تحت كليات ما نقل عن النبي – صلى الله عليه وسلم-، غير أن أفراد الجنس وجزئيات الكلي قد تختص بأوصاف تليق بالجزئي من حيث هو جزئي، وإن لم يتصف بها الكلي من جهة ما هو كلي، ولا يدل ذلك على أن للجزئي مزية على الكلي، ولا أن ذلك في الجزئي خاص به لا تعلق له بالكلي، كيف والجزئي لا يكون جزئياً إلا بكلي، إذ هو من حقيقته وداخل في ماهيته. ومثال ذلك ما جاء في حق عمر –رضي الله عنه- من أن الشيطان يسلك طريقا غير طريقه، وأن ذلك لم يذكر في حق النبي –صلى الله عليه وسلم- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه- أن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال لعمر: "ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك"، ولك أن تعلم أن النبي –صلى الله عليه وسلم- اطلع على ذلك في شأن عمر، ولم يطلع عمر على شيء منه. وكذلك كل الأوصاف الظاهرة على الأمة لم تظهر إلا من جهة النبي –صلى الله عليه وسلم- فهي كالأنموذج من أوصافه وكراماته، والدليل على ذلك أن شيئاً منها لا يحصل إلا على مقدار الاتباع والاقتداء به صلى الله عليه وسلم.([3])

---

١ – سورة النساء: ١٦٣

٢ – متفق عليه

٣ – الموافقات للشاطبي، ج٢، ص٢٢١-٢٢٢ بتصرف

الهبـــات

اللهم إني أسألك باسمك السريع القريب المجيب الذي خزنت به فواتح رحمتك، وسرعة إجابتك، يا سريع لمن قصده، يا قريب لمن سأله، يا مجيب لمن دعاه، يا سميع يا مجيب يا قريب بلغ إرادتي (ثلاثاً) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم: لا إله إلا الله أبداً، محمد رسول الله أبداً، اللهم اغفر لي أبداً، ولا تعذبني بعذابك أبداً، ولا تحجبني أبدا، ولا تفرق بيني وبين سيدنا محمد أبدا (ثلاثا).

إلهي: أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري. إلهي: أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي. إلهي: إن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاءٍ واليأس منك في بلاء. إلهي: مني ما يليق بلومي ومنك ما يليق بكرمك. إلهي: وصفت نفسك باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي. إلهي: إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة عليّ، وإن ظهرت المساوئ مني فبعدلك ولك الحجة عليّ. إلهي: كيف تكلني وقد توكلت لي، وكيف أُضام وأنت الناصرُ لي، أم كيف أخيبُ وأنت الحفيّ بي، ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك، وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك، أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك، أم كيف أُترجم لك بمقالي وهو منك برز وإليك، أم كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت عليك، أم كيف لا تحسُن أحوالي وبك قامت وإليك.

إلهي: ما ألطفك بي مع عظيم جهلي، وما أرحمك بي مع قبيح فعلي. إلهي: ما أقربك مني وما أبعدني عنك، وما أرأفك بي فما الذي يحجبني عنك. إلهي: قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار، إن مرادك مني أن تتعرف إلي في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء. إلهي: كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك، وكلما أيئستني أوصافي أطمعتني مننك. إلهي: من كانت محاسنه مساوية فكيف لا تكون مساويه مَسَاوي، ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى. إلهي: حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالاً ولا الذي حال حالاً. إلهي: كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك، بل

أقالني منها فضلك. إلهي: إنك تعلم وإن لم تدم الطاعة مني فعلاً وجزماً فقد دامت محبة وعزماً. إلهي: كيف أعزم وأنت القاهر، وكيف لا أعزم وأنت الآمر، إلهي: ترددي في الآثار يوجب بُعد المزار، فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك. إلهي: كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدُل عليك، ومتى بعُدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك. إلهي: عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً.

إلهي: أمرت بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها، إنك على كل شيء قدير. إلهي: هذا ذُلّي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول إليك، وبك أستدل عليك، فأهدني بنورك إليك، وأقمني بصدق العبودية بين يديك، إلهي: علمني من علمك المخزون، وصُنّي بسر اسمك المصون. إلهي: حققني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسالك أهل الجذب. إلهي: أغنني بتدبيرك لي عن تدبيري، واختيارك عن اختياري، وأوقفني على مراكز اضطراري. إلهي: أخرجني من ذل نفسي، وطهرني من شكي وشركي، قبل حلول رمسي([1]) بك أستنصر فانصرني، وعليك أتوكل فلا تكلني، وإياك أسال فلا تخيبني، وفي فضلك أرغب فلا تحرمني، ولجنابك أنتسب فلا تبعدني، وببابك أقف فلا تطردني.

إلهي: تقدس رضاك أن يكون له علة منك، فكيف يكون له علة مني، أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك، فكيف لا تكون غنياً عني. إلهي: إن القضاء والقدر غلبني، وإن الهوى بوثاق الشهوة أسرني، فكن أنت الناصر لي حتى تنصرني وتنصر بي، واغنني بفضلك حتى أستغني بك عن طلبي، أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك، وأنت

١ – الرمس: الكلام والحديث. وفي المعجم الوسيط: رمس الميت أي غطاه بالتراب، ورمست الرياح الآثار أي طمست معالمها. ومنه قول الخنساء في أبياتها تمدح أخويها صخر ومعاوية: يذكرني طلوع الشمس صخراً .. وأذكره لكل غروب شمس. ولولا كثرة الباكين حولي .. على إخوانهم لقتلت نفسي. وما يبكون على أخي ولكن .. أعزي النفس عنه بالتأسي. فلا والله لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويشص رمسي. فيا لهفي عليه ولهف نفسي .. أيصبح في الضريح وفيه يمسي.

الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك، أنت المؤنِس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم، ماذا وجد من فقدك؟ وما الذي فقد من وجدك؟ لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغي عنك متحولاً، كيف يُرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان، وكيف يُلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان، يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين، ويا من ألبس أوليائه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستغفرين، أنت الذاكر من قبل ذكر الذاكرين، وأنت البادي بالإحسان من قبل توجه العابدين، وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين، وأنت الوهاب، ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين.

إلهي: اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنتك حتى أقبل عليك. إلهي: إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك، كما أن خوفي لا يزايلني وإن أطعتك، قد دفعتني العوالم إليك، وأوقفني علمي بكرمك عليك. إلهي: كيف أخيب وأنت أملي، أم كيف أُهان وعليك مُتكلي. إلهي: كيف أستعز وفي الذلة أركزتني، أم كيف لا أستعز وإليك قد نسبتني. إلهي: كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقر أقمتني، أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودك الذي أغنيتني، أنت الذي لا إله غيرك تعرفت لكل شيء، فما جهلك شيء، وأنت الذي تعرفت لي في كل شيء، فرأيتك ظاهراً في كل شيء، فأنت الظاهر لكل شيء، يا من استوى برحمانيته على عرشه، فصار العرش غيباً في رحمانيته، كما صار العوالم غيباً في عرشه، محقت الآثار بالآثار، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار، يا من احتجبت في سُرادقات عِزه عن أن تدركه الأبصار، يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الأسرار، كيف تخفى وأنت الظاهر، أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر.

اللهم إن عصيتك فقد علمت أنك أهلٌ أن تطاع، لم تكن معصيتي معاندة لربوبيتك ولا تجرئاً على إلهيتك ولكن سبق حكمك، ونفذت إشاءتك، ولا يكشف الضر إلا أنت، فخذني من نفسي إليك، وأقبل بقلبي عليك، ووطن لسري وطناً بين يديك، وهب لي جمعاً على طاعتك على بساط مشاهدتك، وسماعاً لمخاطبتك على بساط مؤانستك، واجعلني مجذوب محبتك، أخيذ ربوبيتك، غريقاً في بحر فردانيتك، منفسخ العزائم بشهود قدرتك،

مغموساً في بحار نعمتك، ممدوداً بمدد رحمتك، مهدياً إلى صراطك المستقيم، ممنوناً عليَّ بفضلك العظيم، لا أتفرق عنك بشيء، ولا أُثر عليك شيئاً، ولا أنحجب عنك بشيء، ولا أرى أقرب إليَّ منك شيئاً، وامحق أنيتي بأنيتك، واطمس وجودي بنور أحديتك، واسلك بي سبيل المصطفين من بريتك، وانهج بي نهج أهل خصوصيتك، وطهرني ونظفني ونزهني وخشعني وعلمني وأدبني وأسمعني وبصرني ونطقني للحق بالحق، وأقمني بين يديك بتحقيق الصدق، وبالفناء عن الخلق، ووفقني وأيدني في الجميع والفرق حتى أكون من عبادك الواصلين إليك، ذوى البصائر النافذين، ومن العلماء الراسخين، واجعلني من ورثة الأنبياء والمرسلين آمين، واجمع شملي بسيدنا محمد خاتم النبيين، وافعل ذلك معي كما فعلته مع عبادك الموقنين، إنك لطيف خبير وعلى ما تشاء قدير.

اللهم يا من لا يكبر على وسع مغفرته ذنب، ولا يعظم على وسع حلمه جناية، اغفر لنا ما آتينا، واحلم عنا فيما جنينا، إنك على كل شيء قدير. اللهم إن نفوسنا أبت أن تدخل في الخير اختياراً فاجعلها فيه اضطراراً يارب العالمين. اللهم لا فضيحة إلا ونحن أهلها، ولا ستر إلا وأنت أهله، فاسترنا فيما نحن أهله بما أنت أهله يا أرحم الراحمين. اللهم إن الشيطان يرجو فينا رجاء ونحن نرجو فيك رجاء، فخيب رجاء الشيطان فينا بتحقيق أملنا فيك يا أكرم الأكرمين. اللهم هب لنا سراً ننهض به إليك، وسراً نسير به إليك، وسراً نصل به إليك، وسراً ندوم به بين يديك، وسراً نرد به إلى خلقك للدلالة عليك. اللهم اجبر مصيبتنا فيك بك، فإنه لا جابر لما فاتنا منك إلا أنت، السكون إلى غيرك انزعاج، والوصول إليك عزيز، فما حيلة العباد بين هذين؟ لقد عزّ هذا الجناب حتى كادت أعين الأماني أن لا ترنوا إليه، ولقد دنوت من كل شيء فمن الذي لا يجد قربك لديه، يا من لا يُسار إليه إلا به، ولا يفهم عنه إلا بالتوفيق منه، ولا يطاع إلا بإذنه، ولا يعصى إلا بإرادته وحكمه، أما إنه لم يفُتك من العباد أن أعرضوا شيء لو أقبلوا لكان حاصلا، بل فاتهم هم إقبالهم عليك، فالمخصوص كل المخصوص من ظفر بالنصيب منك، والمحبوب كل المحبوب من شغلته بما سواك عنك، يا من ظهر فعرفه كل شيء، وبطن فلا يحيط به من الكائنات شيء، متى ترفع الحجب والأستار، وما الحجب معك بموجودة، متى تطلق سراج الأرواح، وما هي في التحقيق

بمصدودة، متى تأخذني من نفسي إليك وتقبل بوجود قلبي عليك، متى أشهدك بالشهود منك إليك، ومتى أقبل وأرى الإقبال منك عليك يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن. انمحقت أولية كل شيء في أوليتك، وأخرية كل شيء في أخريتك وظاهرية كل شيء في ظاهريتك، وباطنية كل شيء في باطنيتك، فأي أول لست قبله، وأي آخر لست بعدُ، وأي ظاهر إلا وأنت الذي أظهرته، وأي باطن إلا وأنت الذي بظهورك أخفيته، فاجمعني بفضلك عليك، واهدني بنورك إليك، إنك على كل شيء قدير.

اللهم كن بنا رءوفا وعلينا عطوفا وخذ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك، قومنا إذا اعتوجنا، وأعنا إذا استقمنا، وخذ بأيدنا إذا عثرنا، وكن لنا حيث ما كنا يارب العالمين. اللهم اجعلنا من المستسلمين إليك، ومن الدائمين بين يديك، وأخرجنا عن التدبير معك أو عليك، واجعلنا من المفوضين إليك، اللهم لا تشغلنا بما ضمنته لنا عن ما أمرتنا ولا بشيء أنت طالبنا به عن شيء أنت طالبه منا. اللهم إنك قد قسمت لنا قسمة أنت موصلها لنا، فوصلها إلينا بالهنا والسلامة من العنا، مصانين فيها من الحجبة، محفوفين فيها بأنوار الوصلة نشهدها منك فنكون لك من الشاكرين، ونضيفها لك ولا لأحد من العالمين.

اللهم اجعلنا من المختارين لك لا من المختارين عليك، ومن المفوضين لك لا من المعترضين عليك. اللهم إنا إليك محتاجون فاعطنا، وعن الطاعة عاجزون فاقدرنا، وهب لنا قدرة على طاعتك وعجزاً عن معصيتك واستسلاماً لربوبيتك، وصبراً على أحكام إلهيتك، وعجزاً بالانتساب إليك، وراحة في قلوبنا بالتوكل عليك، واجعلنا ممن دخل في ميادين الرضى، وكرع من نسيم التسليم، وجنى من ثمار المعارف، وألبس خلع التخصيص، واتحف بتحفة القرب، وفوح من حضرة الحب دائمين على خدمتك، محققين بمعرفتك متبعين لرسولك وارثين عنه وآخذين منه ومحققين به، وقائمين بالنيابة عنه، واختم لنا بخير إنك رب العالمين.

اللهم صلي على سيدنا محمد بأفضل صلاة صليتها على أحد من خلقك، وارحم سيدنا محمد بأفضل رحمة رحمت بها أحداً من خلقك، وبارك في الأولين وفي الآخرين ويوم يقوم الناس لرب العالمين. اللهم ارحمنا باسم سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك وأحب الخلق إليك، فاجعلنا في رحمتك وسلمنا من معصيتك، وسلمنا من ظلم الناس في هذا اليوم وفي ما

بقي من العمر، وسلم للناس من ظلمنا يا أرحم الراحمين. اللهم صل على سيدنا محمد في الأولين وصلي على سيدنا محمد في الآخرين، وصلي على سيدنا محمد في المرسلين، وصلي على سيدنا محمد في النبيين، وصلي على سيدنا محمد في الملاء الأعلى إلى يوم الدين. اللهم اعط سيدنا محمدا الوسيلة والفضيلة والشرف والدرجة الكبيرة. اللهم إنا آمنا بسيدنا محمد ولم نره فلا تحرمنا في الجنات رؤيته، وارزقنا محبة وتوفنا على ملته، واسقنا من حوضه مشرباً روياً سائغاً هنياً لا نظمأ بعده أبدا، إنك على كل شيء قدير. اللهم بلغ روح سيدنا محمد منا تحية وسلاما، اللهم وكما آمنا به ولم نره فلا تحرمنا رؤيته، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه وأتباعه ومحبيه وأمته، وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين. اللهم يارب سيدنا محمد وآل سيدنا محمد صلي على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد، واجز سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– ما هو أهله، اللهم صلي على روح سيدنا محمد في الأرواح، وعلى جسده في الأجساد، وعلى قبره في القبور. إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، جزا الله عنا سيدنا محمدا عنا ما هو أهله، صلىّ الله على جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ملك الموت. صلى الله عليهم وسلم، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

دعاء فتح البصاير

لسيدي عبد القادر الجيلاني[1]

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله رب العالمين حمداً يفوق ويفضل ويعلو حمد الحامدين، حمداً يكون لنا رضا وذخرا وحفظا وحرزا عند رب العالمين. الرحمن الرحيم، الذي دحى الأقاليم واختص موسى الكليم، وأحيى العظام وهي رميم، فهما اسمان عظيمان شفاء لكل سقيم. مالك يوم الدين، ليس لك في الملك منازع ولا قرين، ولا نظير ولا معين، بل كنت قبل وجود العالمين أجمعين، أنت إحاطتنا من جميع الشياطين والسلاطين، وعوننا على الأبعدين والأقربين، ووجهتنا على الأجناس المختلفين. إياك نعبد، نعبد الله بالإقرار، ونعترف بالتقصير، ونخجل من جميع الذنوب، ونشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وإياك نستعين، نستعين بالله على كل حاجة وأمر من أمور الدنيا والآخرة والدين. اللهم اهدنا يا هادي المضلين، لا هادي للضالين غيرك الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُن أُلئك رفيقا، وذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما. غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين.

رب تداركنا برحمتك ونجنا من الغم يا منجي المؤمنين، وفرج عنا ما نحن فيه يا غياث المستغيثين أغثنا. اللهم إني أسألك بمواضعك في قلوب العارفين، وببهاء كمال جمالك في سرائر المقربين، وبدقائق حقائق طرائق السادات الفائزين، وبخضوع خشوع دموع أعين الباكين، وبرجيف وجيف قلوب الخائفين، وبترنم طواير خواطر الواصلين، وبرنين حنين أنين المذنبين، وبتوحيد تمجيد ألسنة الذاكرين، وبرسائل وسائل مسائل الطالبين، وبمكاشفات لمحات نظرات أعين الناظرين إلى عين اليقين، وبوجود وجودك ووجودهم لك في غمايض فؤاد سر المحبين،

---

١ – عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحصي بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. ولد رحمه الله بجيلان عام ٤٧٠هـ وتوفي سنة ٥٦١هـ ودفن ببغداد. أحد علماء الحنابلة، له كتاب الغنية في مذهب أحمد. أثنى عليه العلماء فقال السمعاني: كان عبد القادر من أهل جيلان إمام الحنابلة وشيخهم، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة. وقال بن كثير في البداية والنهاية: كان له سمت حسن، وكان فيه تزهد كثير، وله أحوال صالحة ومكاشفات.

ونسألك اللهم بحرمة هذه الرسائل والوسائل والمسائل أن تغرس في حدائق بساتين قلوبنا أشجار توحيدك وتمجيدك لنقطف منها ثمار تسبحك وتقديسك بأنامل أكف اجتناء لطفك وإحسانك.

اللهم اكشف عن عيون أبصار بصائرنا حجب الاحتجاب، واجعلنا ممن رمى إليك بسهم الابتهال فأصاب، وممن دعيت جوارح أركانه لخدمتك فأجاب، وجعلته من خواص أهل الحضرة والأحباب. اللهم إن أرض قلوبنا مجدبة يابسة عابسة فاسقها من أمطار سحائب أودية الولاية بالإحسان لتصبح مخضرة بجميع رياحين القبول والإيمان، متفتق كمايم أزهار أنوار طلعتها بشقائق الرؤية والعيان، مترنم لبّ بلبل بالِ فرحتها كبلبل البلبل في امتنان الأغصان شاكرة ذاكرة على ما أوليتها من فوائد النعم والإحسان.

اللهم فمنا الدعاء ومنك الإجابة، ومنا الرمي بسهم الرجاء ومنك الإصابة، واجعلنا اللهم يا مولانا ممن دعا محبوبه فأجابه وأعطاه ما يتمناه عليه وما أخابه، اللهم ونحن عبيدك الفقراء المساكين واقفين على عتبة جناب ساحات ألطافك منتظرين لشربة من حمّيا خندريس([1]) رحيق غاية شرابك لنصبح نشاوى بها مولَّهين من سكرة مُحيّاك، اللهم واجعلنا ممن جدت به إليك مطايا الهمم متملقة متعلقة بأذيال المعروف والكرم، وقد حطت أحمال أعمالها على ساحات جناب قدسك متعطرة من نفحات شمايم قربك وأنسك، مستجيرة بك أيها الملك الديان، من ضور سلطان القطيعة والهجران، اللهم فاسمع تبتلنا([2]) وتبهلنا إليك، وقد توكلنا في جميع أمورنا عليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم سق إلينا من رحمتك ما يغنينا وأنزل علينا من بركاتك ما يكفينا وادفع عنا من نقمتك ما يؤذينا واقذف في قلوبنا من روَّج معرفتك ما يحيينا، وارزقنا من اليقين ما تثبت به أفئدتنا واشفنا وعافنا ظاهرا وباطنا من كل ما فينا، اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وكواماله وأوله وأخره وظاهره وباطنه، وانظمنا في سلك الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

١ – يقال تمر خندريس وحنطة خندريس، والخندريس الخمر القديمة.

٢ – التبتل هو الانقطاع الكلي عما عدا الله عز وجل، والاتجاه إليه بالعبادة والذكر، والتخلص من كل شاغل ومن كل خاطر، والحضور مع الله بكامل الحس والمشاعر.

الأوراد السبعة [1]

للشيخ عبد القادر الجيلاني

ورد يوم الأحد:

بسم الله الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا إله إلا هو الجميل الرحمن الرحيم اللطيف الحليم الرءوف العفو المؤمن النصير المجيب المغيث القريب السريع الكريم ذو الإكرام ذو الطول. رب اكسني من جمال بديع الأنوار الجمالية ما يدهش ألباب الذرات الكونية فتتوجه إلى حقائق المكونات توجه المحبة الذاتية الجاذبة إلى شهود مطلق الجمال الذي لا يضاده قبح، ولا يقطع عنه إيلام، واجعلني مرحوماً من كل راحم بحكم العطف الحبي الذي لا يشوبه انتقام، ولا ينقصه غضب، ولا يقطع مدده سبب، وتولى ذلك بحكم أبدية وارثيتك إلى غير نهاية تقطعها غاية، يا رحيم هو الرحيم، رباه رباه غوثاه، يا خفياً لا يظهر، يا ظاهراً لا يخفى، لطُفت أسرار وجودك الأقدس فبدت في كل مشهود، فأنت الحليم المنان بالرأفة، والعفو السريع بالمغفرة، مأمن الخائفين، نصير المستغيثين، القريب بموجهات القرب والبعد عن عيون العارفين، يا كريم يا كريم يا ذا الطول والإكرام، سلام قولا من رب رحيم والحمد لله رب العالمين.

---

١ – الأوراد والأحزاب والصلوات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكل صورها ومؤلفاتها ما هي إلا أنماط من الفتوح والابتهالات والتوجهات إلى الله، والأدعية المحببة إلى النفس حسب مقامات الرجال بما فيها من النفحات والعبارات التي تصور خلجات نفوس الواقفن على باب الله، وتبرز أحاسيسهم ومواجدهم. ودليله قوله تعالى: "وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ" (سورة النساء: ٣٢) وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الترمذي عن عبادة بن الصامت: "ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم". وقد جاء في حديث بن مسعود –رضي الله عنه– إلتفت إلينا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "إذا صلى أحدكم فليقل التحيات له ... الخ. ثم ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فيدعو". متفق عليه، واللفظ للبخاري. وقد رد الإمام الصنعاني على القائلين بلزوم المأثور بقوله: ويرد القول قوله صلى الله عليه وسلم: "ثم ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه" فهو إطلاق للداعي أن يدعو بما شاء. (أنظر أصول الوصول للشيخ محمد زكي إبراهيم، ط٥، ٢٠٠٥).

ورد يوم الاثنين:

بسم الله الرحمن الرحيم: هو الله الذي لا إله إلا هو الحليم الرحيم الفعال اللطيف الولي الحميد الصبور الرشيد الرحمن، رب أذقني من برد حلمك عليّ ما أبتهج به في عوالمي، فلا أشهد في الكون إلا ما يقتضي سكوني ورضاك، فإنك الحق وأمرك الحق وأنت الحليم الرحيم، رب أشهدني مطلق فاعليتك في كل مفعول حتى لا أرى فاعلا غيرك لأكون مطمئنا تحت جريان أقدارك منقادا لكل حكم، وجودي عيني، وغيبتي وبرزخي، يا ناقحاً روح أمره في كل عين، اجعلني منفعلا في كل حال لما يحولني عن ظلمات تكويناتي، وما محق فعلي وفعل الفاعلين في أحدية فعلك، وتولني بجميل حميد اختيارك لي في جميع توجهاتي، وافن مني إرادتي وصبرني وسددني وارحمني واصحبني باللطف والعناية بمعية خاصة منك، وحققني بقربك الذي لا وحشة معه يا رحمن يا سلام،والحمد لله رب العالمين.

ورد يوم الثلاثاء:

بسم الله الرحمن الرحيم: إلهي: ما أحلمك على من عصاك، وما أقربك ممن دعاك، وما أعطفك على من سألك، وما أرأفك بمن أمّلك، من ذا الذي سالك فحرمته، أو لجأ إليك فأسلمته، أو تقرب منك فأبعدته، أو هرب إليك فطردته، لك الخلق والأمر. إلهي: أتراك تعذبنا وتوحيدك في قلوبنا، وما أخالك تفعل، ولئن فعلت أتجمعنا مع قوم طالما بغضناهم لك، فبالمكنون من أسمائك، وما وارته الحجب من بهائك، أن تغفر لهذه النفس الهلوع، ولهذا القلب الجزوع الذي لا يصبر لحر الشمس، فكيف يصبر لحر نارك، يا حليم يا عظيم يا كريم يا رحيم. اللهم إنا نعوذ بك من الذل إلا لك، ومن الخوف إلا منك، ومن الفقر إلا إليك، اللهم كما صنت وجوهنا أن تسجد لغيرك فصن أيدينا أن تمتد بالسؤال لغيرك لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، والحمد لله رب العالمين.

ورد يوم الأربعاء:

بسم الله الرحمن الرحيم: إلهي عمّ قِدمُكَ حدثي فلا أنا، وأشرق سلطان نور وجهك فأضاء هيكل بشريتي ولا سواك، فما دام مني فبدوامك، وما فنى عني فبرؤيتي إياي، وأنت الدايم لا إله إلا أنت، أسألك بالألف إذا تقدمت، وبالهاء إذا تأخرت، وبالهاء مني إذا انقلبت

لاماً، أن تغنيني بك عني حتى تلتحق الصفة بالصفة، وتقع الرابطة بالذات، لا إله إلا أنت، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

ورد يوم الخميس:

بسم الله الرحمن الرحيم: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وعنت الوجوه للحي القيوم، اللهم إني أسألك يا الله يا الله يا الله بما سألك به نبيك سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– يا ودود يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدىء يا معيد يا فعال لما تريد، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت يا مغيث أغثني (ثلاثا) اللهم إني أسألك يا لطيفاً قبل كل لطيف، ويا لطيف بعد كل لطيف، ويا لطيف لطفت بخلق السموات والأرض، أسألك يا رب كما لطفت بي في ظلمات الأحشاء ألطف بي في قضائك وقدرك، وفرج عني الضيق، ولا تحملني مالا أطيق بحرمة سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– وسيدي أبو بكر الصديق، يا لطيف يا لطيف يا لطيف ألطف بي، بخفي خفي خفي لطفك الخفي الخفي الخفي، إنك قلت وقولك الحق: الله لطيف بعباده، يرزق من يشاء وهو القوي العزيز. وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين.

ورد يوم الجمعة:

بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم إني أسألك بعظيم قديم كريم مكنون مخزون أسمائك، وبأنواع أجناس رُقوم نقوش أنوارك، وبعزيز عزاز عزتك، وبحلول طول حول شديد قوتك، وبقدرة مقدار اقتدار قدرتك، وبتأييد تحميد تمجيد عظمتك، وبسمو نمو علو رفعتك، وبديموم قيوم دوام مُدّتك، وبرضوان غفران أمان مغفرتك، وبرفيع بديع منيع سلطانك وسطوتك، وبرهبوت عظموت جبروت جلالك، وبصلات سعادة سعة بساط رحمتك، وبلوامع بوارق صواعق هجيج هجيج وهيج وهيج بهيج نور ذاتك، وببهر قهر جهر ميمون ارتباط وحدانيتك، وبهدير هيّار تيار أمواج بحارك المحيط بملكوتك، وباتساع انفساح ميادين برازخ كرسيك، وبهيكليات علويات روحانيات أملاك أفلاك عرشك، وبالأملاك الروحانيين المديرين

لكواكب أحلاكك، وبحنين أنين تسكين قلوب المريدين لقربك، وبخضعات حرقات زفرات الخائفين من سطوتك، وبآمال نوال أقوال المجتهدين في مرضاتك، وبتخضيع تقطيع تقطع مرائر الصابرين على بلواك، وبتعبد تمجد تجلد العابدين على طاعتك، يا أول يا آخر يا باطن يا ظاهر يا قديم يا قويم: أطمس بطلسم بسم الله الرحمن الرحيم شر سويداء قلوب أعدائنا وأعدائك، ودقّ أعناق رؤوس الظلمة بسيوف نمشات قهرك وسطوتك، واحجبنا بحجبك الكثيفة بحولك وقوتك عن لحظات لمحات لمعات أبصارهم الضعيفة بعزتك وسطوتك يا الله يا الله يا الله، وصب علينا من أنابيب مياريب التوفيق في روضات السعادة آناء ليلك وأطراف نهارك، واغمسنا في أحواض سواقي مساقي برّ برّك ورحمتك، وقيدنا بقيود السلامة عن الوقوع في معصيتك، يا أول يا آخر يا باطن يا ظاهر يا قديم يا قويم يا مقيم يا مولاي يا قادر يا مولاي يا غافر يا لطيف يا خبير، اللهم ذهلت العقول وضاقت الأفهام وبعدت الخواطر وقصُرت الظنون عن إدراك كنه كيفية ذاتك، وما ظهر من بوادي عجائب أنواع أصناف قدرتك دون البلوغ إلى تلألؤ لمعان بروق شروق أسمائك يا الله يا الله يا الله يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا قديم يا قويم يا مقيم يا نور يا هادي يا بديع يا باقي يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث يا غياث المستغيثين أغثنا، لا إله إلا أنت برحمتك ارحمنا، اللهم محرك الحركات ومبدئ نهايات الغايات ومخرج ينابيع قضبان قصبات النبات ومشقق صُمّ جلاميد الصخور الراسيات، والمنبع منها ماء معينا للمخلوقات، والمحي به سائر الحيوانات والنباتات والعالم بما اختلج في صدورهم من أسرارهم وأفكارهم، وفك رمز نطق إشارات خفيات لغات النمل السارحات من سبَّحت، وقدّست وكبرت وعظمت ومجدت لجلال جمال كمال إقدام أقوال إعظام عزة وجبروت ملائك سبع سمواتك، اجعلنا في هذا العام وفي هذا الشهر وفي هذه الجمعة وفي هذا اليوم وفي هذه الساعة وفي هذا الوقت المبارك ممن دعاك فأجبته وسألك فأعطيته، وتضرع إليك فرحمته، وإلى دارك دار السلام أدنيته بفضلك يا جواد يا جواد يا جواد جُد علينا وعاملنا بما أنت أهله، ولا تعاملنا بما نحن أهله، إنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة يا أرحم الراحمين يا الله يا الله يا الله يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا قديم يا قويم يا مقيم يا نور يا هادي يا بديع يا باقي يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت

برحمتك نستغيث يا غياث المستغيثين أغثنا، لا إله إلا أنت برحمتك يا أرحم الراحمين أسألك اللهم أن تصلي على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأن تقضي حوائجنا يا الله يا الله يا الله والحمد لله رب العالمين.

ورد يوم السبت:

بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم يا من نعمه لا تحصى، وأمره لا يعصى، ونوره لا يطفئ، ولطفه لا يخفى، يا من فلق البحر لموسى، وأحي الميت لعيسى، وجعل النار برداً وسلاما على إبراهيم، صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، اللهم بتلألؤ نور بهاء حُجب عرشك، من أعدائي احتجبت، وبسطوة الجبروت ممن يكيدني تحصنت، وبحول طول حول شديد قوتك من كل سلطان تحصنت، وبديموم قيوم دوام أبديتك من كل شيطان استعذت، وبمكنون السر من سر سرك من كل هامة تخلصت وتحصنت، يا حامل العرش، يا حابس الوحش، يا شديد البطش عليك توكلت وإليك أنبت، إحبس عني من ظلمني، واغلب من غلبني، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز. الله أكبر الله أكبر الله أكبر وأعز من خلقه جميعاً، الله أعز ممن أخاف وأحذر، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو ممسك السموات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه، من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس، اللهم كن لي جاراً من شرهم. جل ثناؤك وعز جارك وتبارك اسمك ولا إله غيرك تفعل ما تشاء وأنت على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين.

دعاء شريف

مروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم)

اللهم إن حسناتي من عطائك، وسيئاتي من قضائك، فجُد اللهم عليَّ بما أعطيت على ما قضيت حتى تمحو ذلك بذلك، اللهم لولا عطاؤك لكنت من الهالكين، ولولا قضاؤك لكنت من الفائزين، وأنت أجل وأعظم وأعز وأكرم من أن تطاع إلا بإذنك، أو تعصى إلا بقضائك وأنت علام الغيوب، اللهم إني لم آتِ الذنوب جرأة مني عليك ولا استخفافا بحقك، ولكن جرى بذلك حكمك وسبق به علمك، والمعذرة إليك وأنت علام الغيوب، اللهم إن قلبي وناصيتي بيدك ولم تُملكني منها شيئاً، فإذا فعلت فكن أنت وليهما، فاهدهما إلى سواء السبيل([1])، اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت إليه، وأستغفرك بما وعدتك من نفسي فأخلفتك فيه، وأستغفرك مما أردت به وجهك الكريم فخالطني فيه ما ليس لك به رضى، وأستغفرك لما دعاني الهوى من قِبَل الرّخص مما اشتبه عليَّ وهو عندك حرام، وأستغفرك لكل نعمة أنعمت بها عليَّ فتقويت بها على معصيتك، وأستغفرك لكل يمين سبقت مني حنثت فيه عندك، وأستغفرك اللهم يا عالم الغيب والشهادة يا ذا الجلال والإكرام.

١ – هذا الدعاء من بدايته وحتى قوله: فاهدهما إلى سواء السبيل: موجود بتمامه في حزب التوسل المنسوب إلى أبي الحسن الشاذلي في كتاب الأنوار القدسية في تنزيه طرق القوم العلية، ص٨٩، مطبعة السلام سنة ١٣٢٠هـ.

دعاء مفتاح الصباح للنجاح

مشهور عن سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلجه، وسرّح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه، وأتقن صُنع الفلك الدوار في مقادير تبرجه، وشعشع ضياء الشمس بنور تأججه، يا من دل على ذاته بذاته، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته، وجل عن ملائمة كيفياته، يا من قرُب من خطرات الظنون وبعُد عن ملاحظة العيون، وعلم بما كان قبل أن يكون، يا من أرقدني في مهاد أمنه وأمانه وأيقظني إلى ما منحني به من مننه وإحسانه، وكف أكُف السوء عني بيده وسلطانه، صلى اللهم على الدليل إليك في الليل الأليل، والماسك من أسبابك بحبل الشرف الأطول، والناصع الحسب في ذروة الكاهل الأعبل، والثابت القدم على حليفهما في الزمن الأولن وعلى آله المصطفين الأخيار، وافتح اللهم لنا مصاريع الصباح بمفاتيح النجاح والرحمة والفلاح، وألبسني من أفضل خِلَع الهداية والصلاح، واغرس اللهم لعظمتك في شرب جناني ينابيع الخشوع، واجر اللهم لهيبتك من مآقي زفرات الدموع، وأدب اللهم نزق الخزق مني بأزمة القنوع.

إلهي: إن لم تبتدئني الرحمة منك بحسن التوفيق فمن السالك بي إليك في أوضح الطريق، وإن أسلمتني إنائتك لقائد الأمل والمنى فمن المقيل عثراتي من كبوات الهوى، وإن خذني نصرك عند محاربة النفس والشيطان فقد وكلني خذلانك إلى حيث النصَب والحرمان. إلهي: أتراني أتيتك إلا من حيث الآمال أم عَلِقَت بأسباب أطراف حبالك أنامل ولائي إلا حين باعدتني ذنوبي عن دار الوصال فبئس المطية التي امتطت نفسي عن هواها، فواهاً لها لما سولت لها ظنونها ومُناها، وتباً لها لجرأتها على سيدها ومولاها. إلهي: قرعت باب رحمتك بيد رجائي وغاية مطلوبي ومُناي في متقلبي ومثواي. إلهي كيف تطرد مسكيناً التجأ إليك من الذنوب هارباً، أم كيف ترد ظمآن ورد حياضك شارباً، كلا وحياضك مُترعة في ضنك المحول، وبابك مفتوح للطلب والوغول، وأنت غاية المثول ونهاية المأمول. إلهي هذه أزمة نفسي عقلتها بعقال مشيئتك، وهذه أعباء ذنوبي ذراتُها برحمتك، وهذه أهوائي المضِّلة وكلتها إلى جناب

لطفك، فاجعل اللهم صباحي هذا نازلاً عليّ بضياء الدنيا والسلامة في الدين والدنيا، ومسائي جُنة من كيد الأعداء ووقايتي من مُرديات الهوى، فإنك قادر على ما تشاء، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب. لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك، من ذا يعرف قدرتك فلا يخافك، ومن ذا يعلم من أنت فلا يهابك، ألفت بقدرتك الفِرَق، وفلقت بلطفك الفلق وأنرت بكرمك دياجي الغسق، وأنهرت المياه من صِمّ الصياخيد عذبا وأجاجا، وأنزلت من المعصرات ماء ثجاجا، وجعلت الشمس والقمر للبرية راجاً منيرا وهاجا، من غير أن تمارس فيما ابتدأت به لغوباً ولا علاجا، فيا من توحّدَ بالعز والبقا، وقهر عباده بالموت والفنا، صلى على سيدنا محمد وآله والأتقياء وأصحابه النقباء، واسمع دعائي وحقق بفضلك رجائي وأملي، يا خير من دعي لكشف الضر، ولك أمر في كل عسر ويسر، بك أنزلت حاجتي فلا تردني عن سِنّي مواهبك يا كريم يا كريم يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين.

كيميا السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة([1])

اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، الذي قال فيه بعض شيوخ الطريق لا يزال أحدنا يكثر الصلاة عليه حتى يصير يشاهده في اليقظة والنوم.([2]) اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، الذي قال فيه أيضاً هذا الشيخ: لا يزال أحدنا يكثر الصلاة عليه حتى يصير يسأله عن ما يشكل عليه من أمر دينه في الليلة واليوم. والحمد لله رب العالمين، وصلي الله وسلم على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى محي الدين بن عبد الرحمن المقدسي الشافعي القادري([3]) غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين أجمعين: هذه صلوات على النبي العربي الأبطحي([4]) الهاشمي القرشي

---

١ – رقم المخطوطة ١٨٩٤/١ المواعظ. قسم المخطوطات بكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية.

٢ – أخرج البخاري ومسلم وأبو داود عن أبو هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "من رآني في المنام فسيراني في اليقظةولا يتمثل الشيطان بي". وأخرج الدرامي مثله من حديث أبي قتادة. واختلف العلماء في معنى قوله "فسيراني في اليقظة"، فقيل معناه فسيراني في القيامة، وتعقب بأنه لا فائدة في هذا التخصيص لأن كل أمته يرونه يوم القيامة من رآه منهم في المنام ومن لم يره. وقيل: هو على ظاهره فمن رآه في النوم فلابد أن يراه في اليقظة بعيني رأسه، وقيل بعين قلبه. حكاهما القاضي أبو بكر بن العربي تلميذ الإمام الغزالي. وقال الإمام أبو محمد بن أبي جمرة في تعليقه على الأحاديث التي انتقاها من البخاري: اللفظ يعطي العموم ومن يدعي الخصوص فيه بغير تخصيص منه صلى الله عليه وسلم، فمتعسف. والقول واضح وجلي وغني عن الدخول في متاهات التفسير والتأويل، فقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "من رآني في النوم" أي من رآني في نومه في الحياة الدنيا. "فسيراني في اليقظة" أي في الحياة الدنيا أيضاً. (أنظر تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك للسيوطي).

٣ – الشافعي مذهباً، القادري طريقة.

٤ – منها قول الفرزدق: هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَهُ ... وَالبَيْتُ يعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ. والبطحاء: بطحاء مكة المكرمة متصل بالمحصب، والمحصب والحصبة والأبطح والبطحاء، وخيف بني كنانة إسم لشيء واحد، وأصل الخيف كل ما انحدر عن الجبل وارتفع عن المسيل، وكل سيل فيه دُقاقُ الحصى فهو أبطح، والأبطح يضاف إلى مكة المكرمة وإلى منى لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب (أنظر: معجم البلدان، ٧٣/١، وأطلس الحديث النبوي لشوقي ابو خليل).

الأمي السيد الكامل الفاتح الخاتم حبيب رب العالمين، وشفيع المذنبين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

جمعتها في محبة طلعة بهجة نور وجهه الكريم، ووصلة إلى القرب في الدنيا والآخرة من حضرة جنابه العظيم صلى الله عليه وسلم، وألفتها على منوال لم أسبق إليه فيما أعلم، وهذا من مدده العظيم ومن فضله الجسيم، فهو صلى الله عليه وسلم مورد كل ظمآن من الخاص والعام والإنس والجان، وقد قال عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام: أقربكم مني يوم القيامة أكثركم عليّ صلاة.([1]) وأشار صلى الله عليه وسلم إلى مادة التكثير باللفظ اليسير في حديث "سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته" وغيرهما مما في معناه.

وقد ورد عن السلف والخلف –رضي الله تعالى عنهم– ولما من الله تبارك وتعالى من فضله قرأها بعض الصالحين في ليلة ونام فرأى في منامه كأن قائلاً يقول: هذه الصلاة لا يحصي ثوابها إلا الله تعالى وقد أتعبتنا وذلك في بيت المقدس بزاوية سيدي وشيخي وأستاذي العارف بالله تعالى مربي السالكين ومسلك المريدين وحديد عصره وفريد دهره وبهجة زمانه الشيخ محمد العربي رحمه الله تعالى. سميتها كيميا السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة. إذ الكيميا إن جاز في العقل أنها تصح وتغني من فقر الدنيا، فهذه الصلاة المباركة تغني إن شاء الله تعالى من كل فقر وتنجي من كل هم وغم وشر في الدنيا والآخرة، وانظر إلى سر قوله صلى الله عليه وسلم: من جعل جميع عبادته الصلاة عليّ قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة. أو كما قال صلى الله عليه وسلم.([2])

---

١ – روى الترمذي عن ابن مسعود قال: قال صلى الله عليه وسلم: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة" (حديث رقم ٤٨٤ وقال: حديث حسن غريب).

٢ – لعل المقصود الحديث الذي أخرجه الترمذي: قال أُبي: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت. قال: قلت: الربع؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك. قلت: النصف؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك. قال: قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك. قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذاً تكفى همك ويغفر لك ذنبك.

وكذلك في حديث أُبي الآتي ذكره –رضي الله عنه– ثم إن عنّ لي سفر بعد ذلك إلى مصر فرأيته في المنام وهو يبتسم، وجلست معه كثيراً وكانت الرؤيا المباركة في شوال ليلة الجمعة سنة اثنين وثمانين وثمانمائة (٨٨٢هـ) فحججت من سنتي تلك وجاورت بالمدينة الشريفة ببركته –صلى الله عليه وسلم– فحررتها في مجاورتي وأخفيتها زمناً، فرأيته –صلى الله عليه وسلم– في المنام وهو يقول: تكتم الصلاة علينا؟ أو حديثاً في معناه. فقلت أو تبلغكم الصلاة، أو معناه أيضاً؟ فقال: نعم. ثم قال: سوف أدعو لكم بالاسم الأعظم.

وأرجو أن تكون هذه الصلاة المباركة هي المشار إليها، فمن اعتنى بها وداوم عليها فسيرى من بركتها خيرا كثيراً إن شاء الله تعالى، ثم إنها ظهرت بعد ذلك وتلقاها الناس بالقبول ولله الشكر والمنة. وأنا أرجو من فضل الله مسفر الصبح ومشرق النهار أن يظهرها كظهور الشمس في سائر الأقطار، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ببركة من جمعت لأجله، وأن يفتح لمن واظب عليها الأبواب المغلقات، وينال غرفاً من أعلى الجنات، وأن يكون كثير الرؤيا في المنام لسيد السادات –صلى الله عليه وسلم– كيف وقد قال –صلى الله عليه وسلم– حين قال أُبي –رضي الله عنه–: أجعل صلاتي كلها لك؟ قال: إذاً تكفى همك ويغفر ذنبك.

ولم يخفى ما في الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– من عظائم الأجور والبركات وقبولها في كل حال على مر الدهور والأوقات، ثم إنه لا يخفى على كل ذي عقل سليم وفهم مستقيم ما احتوت عليه هذه الصلاة المباركة من تفاصيل جزئيات الملك والملكوت وكلياتهما، وانطوت على جُل ما تقدمهما من الصلوات المصنفات بتفاصيلها وجملتها خصوصاً قولي: أضعافاً مضاعفاً مضروباً في مثله، حتى ينكشف لك عن قول القائل في المنام: لا يحصي ثوابها إلا الله تعالى. ومن مارس الحساب يكشف له عن سر ذلك، وتاه في عظمة الله تعالى وقدرته، وليس إلا التسليم والاعتراف بالعجز.

ولا أقول أني أتيت بما لم يأتوا بمثله، ولم يحيطوا بعظم فضله، بل أنا مقتبس من نور مددهم العزيز الرائق الصافي، وجمعت ما شئت من جوهرهم النفيس المنثور والمنظوم، فعسى أن أُكتب مع اسمهم الشريف المسطور المرقوم، نفعنا الله ببركتهم في الدنيا والآخرة إنه سميع قريب مجيب ذو النعمة الوافرة، وختمتها بالباقيات الصالحات لفائدتين: أحدهما: الإحاطة بجميع ما

تقدم من الأعداد المفصلات والمجملات، والأخرى: أرجو من الله تعالى أن يختم لي ولمن قرأها بخير، وبالأعمال الصالحات عند الممات، إنه قريب مجيب الدعوات. وكان الفراغ من تحريرها بالمدينة الشريفة ليلة الاثنين ثان عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة (٨٨٣هـ)ن ختمها الله بخير، أمين.

وهذه **الصلاة الأولى** المباركة نفع الله ببركتها المسلمين أجمعين: بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله رب العالمين الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة عدد سور القرآن العظيم، وآياته، وكلماته، وحروفه([1])، وحركاته([2])، ونقطه([3])، ومعجمه([4])، ومهمله([5])، ومفصله([6])، ومجمله، وجزئياته، وكلياته، ومنقوطه، ومفهومه، وإشاراته، ومحكمه ومتشابهه([7])، وخاصة وعامه([1])،

---

١ – عدد سور القرآن الكريم ١١٤ سورة، وعدد أجزائه ٣٠ جزء، وعدد أحزابه ٦٠ حزب، وعدد آياته ٦٢١٩ آية عند المكيين و٦٢١٤ آية عند المدنيين و٦٢٣٦ آية عند الكوفيين و٦٢٠٤ آية عند البصريين، وسبب هذا الخلاف في بعض مواضع الوقف، وعدد كلماته ٧٧٤٣٩، وعدد حروفه ٣٤٠٧٤٠ حرفاً.

٢ – أي التشكيل.

٣ – عدد نقاط القرآن الكريم ١٠١٥٠٣٠ نقطة تقريباً.

٤ – أي الأفاظ غير العربية، مثل إبراهيم، إسحق، جهنم، زنجبيل، ...الخ. والقرآن الكريم يخلو تماماً من تراكيب غير عربية، فليس فيه جملة واحدة إسمية أو فعلية من غير اللغة العربية. أما الأسماء فلا تترجم من لغة إلى أخرى.

٥ – أي الحروف المهملة.

٦ – المفصل هو أواخر القرآن، واختلفوا في تعيين أوله، فقيل أوله سورة ق، وقيل غير ذلك، وقال النووي أوله سورة الحجرات، وسمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة. ويسمى المحكم أيضاً كما روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم. والمفصل ثلاثة أقسام: طوال وأوساط وقصار. فطواله من أول الحجرات إلى سورة البروج، وأوساطه من سورة الطارق إلى سورة لم يكن، وقصاره من سورة إذا زلزلت إلى آخر القرآن.

٧ – **المحكم** لغة إسم مفعول، وفعله أحكم يحكم إحكاماً فهو محكم. وهذه المادة تستعمل لعدة معانٍ، يقال: أحكم الناس الأمر أي منعوه من تسرب الخلل إليه، ويقال: أحكمه عن الأمر بمعنى رجعه عنه ومنعه منه، ويقال: حكم الناس أي منعهم عمَّا يليق. (لسان العرب، مادة حكم). **والمتشابه** لغة هو إسم فاعل وفعله تشابه يتشابه تشابهاً، وهذه المادة تستعمل أيضاً في عدة معانٍ. يقال: تشابها واشتبها أي أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، والشبه الالتباس، والشبه والشبيه والمشتبهات من الأمور: المشكلات، والمتشابهات

المتماثلات، والتشبيه: التمثيل. ويقال: شبه عليه الأمر تشبيهاً أي لبس عليه. (أنظر لسان العرب، مادة شبه). يقول تعالى: "كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" [هود : ١]. أي أتقنت آياته، وأن القرآن كله محكم، ويمتاز بالإحكام وهو الرصانة وقوة السبك التي تمنع تطرق الباطل إليه. يقول بن كثير رحمه الله: "هي محكمات في لفظها، مفصلة في معناها .. فهو كامل صورة ومعنى" (تفسير بن كثير ج٢، ص ٤٢). وفي قوله تعالى: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً" [الزمر : ٢٣]. دلالة صريحة على أن القرآن كله متشابهاً أي أنه كله يشبه بعضه بعضا في هذا الإحكام المذكور آنفاً؛ فكل آية فيه تشبه الأخرى في روعة نظمها وقوة حبكها، يقول الألوسي: "والمراد بكونه متشابها: تشابه معانيه في الصحة والإحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش، وتناسب ألفاظه في الفصاحة، وتجاوب نظمه في الإعجاز" (روح المعاني: ج٢، ص ٢٥٨). وفي قوله تعالى: "هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ"[آل عمران : ٧].دلالة صريحة على أن القرآن بعضه محكم وبعضه متشابه .. وبالطبع فإن معنى التشابه هنا يختلف عن معنى التشابه في الأخرى. فالإحكام في الآية الثالثة بمعنى الوضوح والجلاء في فهم المعنى من قولهم: اشتبه علينا، أي التبس علينا، ومنه قوله تعالى: "إن البقر تشابه علينا" أي اشتبه علينا أيها نذبح. (الكشاف للزمخشري، ج١، ص ٢٨٨). فمن المحكم قوله تعالى: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ" [محمد : ١٩]. وقوله تعالى: "قل هو الله أحد" وقوله تعالى: "إنك لمن المرسلين". ومن المتشابه قوله تعالى: "أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ"[البقرة : ٢٣٧]. فقد اشتبهت اليد العاقدة أهي للأب أم للزوج ؟ ومن ثم فالمتشابه أنواع:

١- متشابه لا سبيل لنا إلى معرفة المراد به: ويعرف بالمتشابه الحقيقي، وهو ما كان السبيل إلى معرفته الوحي، بأن كان غيباً من الغيوب التي استأثر الله بعلمها .. كحقيقة التعذيب في نار جهنم: ما حقيقة هذه النار التي سيعذب بها الكفرة ؟ أهي نار إشعاعية ؟ إذ أن القرآن ذكر بعض خصائص الإشعاع، حيث أخبر بأن الناس يتراءون في الجنة والنار ويتحدثون. أم هي مثل نار الدنيا ذات لهب ووقود ؟ حيث إن القرآن الكريم ذكر بعض خصائص ذلك في قوله تعالى: "وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ" [البقرة : ٢٤]. أم هي موجات حرارية ؟ فقد ذكر القرآن خصائص ذلك في قوله تعالى: "لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ" [الزمر : ١٦]. أم هي نوع من التمدد الكهرومغناطيسي ؟ حيث جاء في القرآن بعض خصائص ذلك في قوله تعالى: "إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ"[الهُمَزَة : ٨-٩]. وبالطبع لا يمكننا الجزم بالجواب مطلقاً؛ لأننا لا نعرف الحقيقة، ولا يوجد مرجح لخاصة دون أخرى. (عبد الحميد ندى، المدخل: ص ١٥٠).

٢- هنالك نوع من المتشابه يستطيع الراسخون في العلم إذا ردوه إلى الله وإلى الرسول في محكم الكتاب وصحيح السنة أن يعلموه بقرائنه المرجحة لمعناه، ويعرف هذا النوع بالمتشابه المعنوي، ومنه قوله تعالى في سيدنا يحي بن زكريا عليهما السلام: "وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ" [آل عمران : ٣٩]. فالحصر بمعنى المنع، والحصر بمعنى الحبس، والحصر بمعنى الإحصاء. فأيهما المراد ؟ ليس إلا المنع؛ لأنه طليق، وليس المقام مقام تعداد وإحصاء. فعن أي شيء منع ؟ أعن النساء ؟ أم عن الحرام ؟ لاشك أن الآخرة أليق بكمال النبوة من الأولى؛ لأن العجز الجنسي يفقده الاقتداء به في مضماره، في حين أن الاقتضاء بالأنبياء مقصد شرعي أحكمه الله في قوله تعالى: " فبهداهم اقتده " وهكذا. (السابق، ص ١٥١).

وناسخه ومنسوخه([2])، وأمره ونهيه، وعبره، ووعده ووعيده، وقصصه، وأمثاله([1]). وعدد ما أحصى وزنه ما أحصى، وعدد الأحاديث النبوية([2]) ومن رواها وعدد الآثار.

٣- هنالك نوع من المتشابه يعرف بالمتشابه اللفظي وهو اتفاق الآيات في موضوعها، واختلافها في صوغها، كما في قوله تعالى: "وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً"[طه : ٥٣]. مع نظيرتها "وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" [الزخرف : ١٠]. والحديث في الآيتين موضوعه واحد وهو تسخير الأرض، لكن النظم القرآني قد اختلف في صوغه فيهما بين (سلك) و (جعل)، وإدراك أسرار هذا النوع تقتضي ارتقاء في فهم الظواهر القرآنية، ومحاور شخوصها، فضلاً عن تذوق أنماط الأساليب ومواطن إيرادها.

١ - **العام والخاص**: العموم هو إطلاق اللفظ وإرادة جميع أفراده الذين يستغرقهم، كما في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى"[الحجرات : ١٣]، فلفظ الناس يراد به جميع أفراده. والخصوص لغة: نقيض العموم (المعجم الوسيط: مادة خصص)، والمراد بخصوص الشيء كونه متعيناً له وحدة تخصه فلا شركة للغير فيه (أنظر التعريفات للجرجاني). فلو قال سائل هل يجوز الوضوء بماء البحر، فأجيب بلفظ (نعم) كان المعنى يجوز الوضوء بماء البحر لكل من أراد من الناس، لا لخصوص هذا السائل، وذلك لأن السؤال استفهام عن الجواز مطلقاً من غير اعتبار خصوص المتكلم بجوابه؛ لأنه غير مستقل. أما إذا قال السائل: توضأت بماء البحر، فأجيب (يجزئك) كان معناه أن الوضوء بماء البحر يجزي السائل وحده؛ لأن السؤال خاص بالمتكلم، فاللفظ العام يتناول كل أفراد سببه العام في الحكم، واللفظ الخاص مقصور على شخص سببه الخاص في الحكم. وهذا محل اتفاق بين العلماء. (مناهل العرفان: ج١، ص١١٦). وقد يخصص العام بقصر المراد باللفظ على بعض أفراده، لا كلهم .. مثل قوله تعالى: "وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ"[الشورى : ٥]، فإنه مخصص بقوله تعالى: "وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا"[غافر : ٧]، وهو تخصيص بالنص الشرعي من الكتاب. وقد يكون التخصيص بنص شرعي من السنة، كما في قوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ"[المائدة : ٣] فهو مخصص بحديث ميتة البحر: "الطهور ماؤه الحل ميتته" وحديث "السمك والجراد"، وكما خصص قوله تعالى: "وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ"[البقرة : ٢٦٧] بحديث: "ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة". وقد يكون التخصيص بسبب النزول "الخاص" كما في قوله تعالى: "لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" [المائدة : ٩٣] إذ ليس فيها حجة لإباحة أن يشرب أحدهم الخمر متذرعاً بأنه من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذلك لأن الخمر ليس من عمل الصالحات، ولحديثه – صلى الله عليه وسلم – "ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"، وإنما الآية خاصة بالمؤمنين الذين شربوا الخمر في صدر الدعوة، ثم ماتوا قبل أن تنزل آية تحريمها، فلما نزل تحريم كلي للخمر تساءل إخوانهم عن مصيرهم، فنزلت الآية تطمئنهم. وقد يكون التخصيص بالعقل كما في قوله تعالى: "وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ"[آل عمران : ٩٧] فعموم لفظ الناس يشمل المسلم والكافر، كما يشمل الصغار والكبار، لكن العقل مانع من هذا العموم؛ لأن الكافر ليس مكلف، كما أن الحديث رفع القلم عن الصغير حتى يحتلم (المدخل، ص ١٧٢).

٢ - **النسخ**: لغة: الإزالة، يقال: نسخت الشمس الظل (لسان العرب، مادة: نسخ). والنسخ نقل الشيء وتحويله مع بقاء أصله، يقول السجستاني: "والنسخ أن تحول ما في الخلية من النحل والعسل إلى أخرى".

ومنه تناسخ المواريث بانتقالها من قوم لقوم، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: "إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" [الجاثية : ٢٩]. والنسخ نقل الشيء وتحويله مع عدم بقاء أصله، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: "وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ" [النحل : ١٠١]. واصطلاحاً: عُرف النسخ في اصطلاح الأصوليين بتعريفات كثيرة، فعرفه البيضاوي بأنه: بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه (منهاج الوصول إلى علة الأصول، للبيضاوي، ص ٦٤). ومعنى تعريف البيضاوي: أن الحكم الشرعي مُغياً عند الله تعالى بغاية، أو محدد بوقت مُعين، فإذا جاءت هذه الغاية أو حل الوقت المعين انتهى الحكم لذاته (محمد محمود فرغلي، النسخ بين الإثبات والنفي، ص ٣٥). وعرفه ابن الحاجب بأنه: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر (مختصر المنتهى لابن الحاجب مع شرح العضد: ٢: ١٨٥). ومعنى تعريف ابن الحاجب رفع تعلق الحكم الشرعي بأفعال المكلفين لا رفعه هو، فإنه أمر واقع، والواقع لا يرتفع. وللنسخ في الشريعة الإسلامية حكمة عظيمة: ففيه حفظ لمصالح العباد في وقت الرسالة، لانتقال المسلمين من فوضى الجاهلية إلى نظام الإسلام، فاقتضت حكمة الشارع ألا ينقلهم دفعة واحدة إلى ما يستقر عليه التشريع آخر الأمر؛ لأنهم لا يطيقون ذلك، بل سلك بهم طريق تشريع الحكم الملائم لحالهم أول الأمر، فإذا أذاقوا بشاشته وألفوا الخروج على ما تعودوه بترويض أنفسهم لذلك جاء حكم آخر. لذا نجد النسخ قد يكون من الأخف للأشد، وقد يكون من الأشد للأخف، وهذا تمشياً مع المصلحة، فإذا كانت المصلحة في تبديل حكم بحكم، وشريعة بشريعة كان التبديل لمراعاة لهذه المصلحة، وعموماً ففي النسخ رحمة الله لخلقه بالتخفيف عنهم والتوسعة عليهم. (جلال الدين عبد الرحمن، النسخ حقيقته وأحكامه، ص ١٨-١٩ بتصرف). والنسخ لا يدخل في أخبار الله تعالى كما في قوله تعالى: "وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً" [الكهف : ٢٥]. لأن نسخ الخبر معناه اضطرابه عن الحق في عدم مطابقته للصدق والواقع، وذلك بالطبع محال بالنسبة لأخبار الله سبحانه وتعالى .. فالنسخ لا يعترض على القصص والأخبار بل على الأوامر والنواهي فقط، ولا نعتقده في الأمور العقلية القطعية مثل أن الله موجود، ولا في الأمور الحسية مثل ضوء النار وظلمة الليل، ولا يدخل النسخ في أصول العبادات كحرمة الدين والنفس والمال والعقل والعرض، وكذلك لا يدخل الأحكام المؤبدة كما في قوله – صلى الله عليه وسلم – "الجهاد ماض إلى يوم القيامة". وقد ينسخ الحكم الشرعي في آية بآخر في أخرى كآية تحريم الخمر في المائدة نسخت حكم إباحتها في الآيات قبلها. وقد ينسخ الحكم القرآني بحديث، كما في حديث "لا هجرة بعد الفتح" فقد نسخ حكم وجوب الهجرة المفهوم من قوله تعالى: " أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا" [النساء : ٩٧]. وقد ينسخ الحكم في حديث بحديث آخر مثل: "نهيتكم عن زيارة القبور .. فزوروها فإن فيها عبرة". (رواه مسلم). يقول تعالى: "مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [البقرة : ١٠٦]. فكل آية يذهب الله بها وفق الحكمة والمشيئة سواء زال لفظها أو حكمها، أو الاثنان معاً، فإن الله يأتي بما هو خير من الآية المنسوخة أو مثلها. ويقول تعالى: "وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ" [النحل : ١٠١]. والتبديل عبارة عن رفع الأصل وإثبات البدل، وهو النسخ بعينه. ويقول تعالى: "فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً" [النساء : ١٦٠]. والاستدلال واضح حيث إن الله قد أحل لليهود كثيراً من الطيبات، ثم حرمها عليهم بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله، فرفع التحليل

الصلاة الثانية: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة عدد الدقائق والدرج والساعات والليالي والأيام والجُمع والشهور والسنين والأوقات والدهور والأزمان والأعصار.

الصلاة الثالثة: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة عدد الحركات والسكنات والحسنات والسيئات، وتخلل المنسوجات، ومضغ الأفواه، ورمش الأبصار.

الصلاة الرابعة: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة عدد الأنفاس والخواطر والحروف والنقط والكلمات وحركاتها، وعدد الهواجس والنبات وترادف الأفكار.

الصلاة الخامسة: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة عدد الأشباح والأرواح والأجسام والجواهر والعقول والعلوم، وعدد ما يقع في رؤيا المنامات من أول الخلق إلى آخرهم، وتعاقب الدلائل والأخبار.

بالتحريم. والأمثلة الدالة على النسخ كثيرة نذكر منها بإيجاز: يقول تعالى: "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ" [البقرة : ٢٤٠]. ثم نسخ ذلك بأربعة أشهر وعشر كما في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً" [البقرة : ٢٣٤]. قد نسخت هذه الآية الآية المتقدمة. ويقول تعالى: "أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" [المجادلة : ١٣]. فواضح من الآية أنها هي المتأخرة أي الناسخة، وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً" [المجادلة : ١٢]. هي الآية المتقدمة أي المنسوخة.

١ – يقول ابن القيم: إن أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون، وإنها تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر (الأمثال في القرآن الكريم).

٢ – الحديث النبوي هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف.

الصلاة السادسة: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة عدد الملائكة، والحور العين، والولدان، والإنس والجن، وخلق البحر، والأنعام والدواب والوحوش والأطيار.

الصلاة السابعة: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد الرؤوس والوجوه والأذان والعيون والأنوف والشفاه والأفواه والصدور والأيدي والأرجل والأصابع والأظفار.

الصلاة الثامنة: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد القلوب والأضلاع والبطون وما حوت، وعدد العروق والمسام والألسن والأسماع والأبصار.

الصلاة التاسعة: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد العظام والأظلاف، وقشر دواب البحار، والأصواف والأرياش والشعور والأوبار.

الصلاة العاشرة: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد الزروع والنبات والأوراق والأغصان والأشجار.

الصلاة الحادية عشر: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد الحب والنوى، والبذور والزهور، والفواكه والثمار.

الصلاة الثانية عشر: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد الرمل والحصى، والتراب والزلف، والمعادن والأحجار.

الصلاة الثالثة عشر: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد نجوم السماء، ودور الأفلاك، ومر السحاب، وهبوب لرياح، ولمع البرق، وأصوات الرعد، وقطر الأمطار.

الصلاة الرابعة عشر: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد مكاييل الماء، ومثاقيل الجبال، والأجساد، وأمواج البحار.

الصلاة الخامسة عشر: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد ما خلقت، وعدد ما أنت خالق، وما كان وما هو كائن، وما جرى به قلمك وأحاط به علمك، ونفذ به حكمك، وما تدركه الأفهام والأفكار.

الصلاة السادسة عشر: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد ما صلى عليه المصلون من أهل السماوات وأهل الأرضين، من أول الدهر في كل زمان وأوان وساعة ووقت وطرفة ولحظة ولمحة ونفس وشم، وعدد ما هم مصلون عليه كذلك في المساء والصباح والعشي والإبكار.

الصلاة السابعة عشر: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، ملء العرش والكرسي، والسموات والأرض وما بينهما، وملء الآفاق والأقطار.

الصلاة الثامنة عشر: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، زنة العرش والكرسي، والسموات والأرض، والتلال والرمال والبحار والأنهار.

الصلاة التاسعة عشر: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد ما مضى علمك، وزنة ما في علمك، وملء ما في علمك، ومداد كلماتك، ومنتهى رحمتك، ومبلغ رضاك، وحتى ترضى، وإذا رضيت، وعدد ما ذكرك خلقك، وعدد ما هم ذاكروك، وعدد ما سبحوك وحمدوك وكبروك ووحدوك واستغفروك، وعدد ما هم مسبحوك وحامدوك ومكبروك ومستغفروك وموحدوك، على مر الدهور والأعصار.

الصلاة العشرون: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، السيد الكامل الفاتح الخاتم، حاء الرحمة، وميم الملك، ودال الدوام، بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، وعين أعيان خليقتك، السابق للخلق نوره، والرحمة للعالمين ظهوره، والمصطفى المجتبى المنتقى المرتضى، عين العناية، وزين القيامة، وإمام الحضرة، وأمين المملكة، وطراز الحُلة، وكنز الحقيقة، وشمس الشريعة، وكاشف الغمة، وناصر الملة، ونبي الرحمة، وشفيع الأمة في يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.([1])

---

١ – أنكر أناس شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– يوم القيامة، ومنهم الدكتور مصطفى محمود –رحمه الله– حسبما جاء في جريدة الأهرام بتاريخ١٩٩٩/٥/١ تحت عنوان: وما هم بخارجين من النار. واستدل بقول الله تعالى: "يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ" [المائدة : ٣٧]، وبقوله تعالى: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ. قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ" [المؤمنون : ١٠٧–١٠٨] وغيرها من الآيات الكريمة التي أنزلها الله تعالى في حق الكافرين وليس المسلمين. فانتزعها الكاتب وطبقها على المسلمين، وسياق الآيات إنما يدل على عكس ذلك، بدليل الآية التي تسبق الآية الأولى من سورة المائدة حيث يقول تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [المائدة : ٣٦] ثم تأتي الآية التي تليها "يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ" [المائدة : ٣٧]. أي أن الذين لا يخرجون من النار إنما هم الكفار، وكذلك الآية التي في سورة المؤمنين إنما هي في الكافرين أيضاً حسبما دلت عليه سياق الآيات الكريمات. أما عصاة المسلمين فلا يخلدون في النار، فمن أصاب ذنباً فأمره إلى الله إن شاء غفر له، أو شفع فيه أحداً من خلقه، أو تركه يأخذ جزاءه ثم مصيره إلى الجنة؛ لأنه حوى أصل الخير بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وفي القرآن الكريم آيات تثبت الشفاعة للملائكة، يقول تعالى: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ [الأنبياء : ٢٦–٢٨]. وقد أخرج ابن ماجه حديث عثمان بن عفان قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم

الصلاة الحادية والعشرون: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد هذا كله أضعافاً مضاعفة مضروباً في مثله وأمثاله، وأمثال أمثاله، لا ينقص عددها ولا ينقطع مددها حتى تستغرق العد وتحيط بالحد أبد الآبدين ودهر الداهرين، ما دامت السموات والأرض، والعرش والكرسي، وما دام ملك الله الواحد القهار.

الصلاة الثانية والعشرون: اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته أفضل صلاة وأزكى سلام وأنمى بركة، عدد ذلك ومثل ذلك وأضعاف أضعاف ذلك، وآت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة والشرف الأعلى والدرجة الرفيعة، واجزه عنا يارب ما هو أهله، وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة، وصلي يارب وسلم كذلك على إخوانه الأكرمين من الأنبياء والمرسلين، وعلى آل كل وصحب كل، وعلى القرابة والتابعين البررة الأخيار، وسبحان الله وبحمده تسبيحاً يليق بمجده وجماله.

والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً على جميع نعمه وأفضاله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، المنفرد في علو كماله، والله أكبر المتعاظم في كبريائه وجلاله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عند كل هم وغم وكرب، وعند كل حادث يحدث للعبد في جميع ما حوله، وأستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه من كل ذنب أتيته في سواد الليل وضياء النهار، وإدبار كل منهما وإقباله عدد ذلك، ومثل ذلك، وأضعاف ذلك ما طلعت شمس، أو بزغ بدر، أو هب ريح، أو سح قطر، أو سجع طير، وأقبل ليل، أو أشرق نهار، والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وصلي الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. تمت الصلوات بحمد الله وعونه.

العلماء ثم الشهداء"، وأخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً"، وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة". أما الذي يكذب بالشفاعة فهو ليس من أهلها بدليل قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "شفاعتي يوم القيامة حق، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها" أخرجه بن منيع، وهو حديث صحيح متواتر (أنظر نظم المتواتر ص١٤٩، وفيض القدير، ١٦٣/٤).

المصادر والمراجع

١ – إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشاطبي (٢٠٠٦). الموافقات في أصول الشريعة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢ – ابن أبي العز الحنفي (١٩٨٤). شرح العقيدة الطحاوية. (ط٢). بيروت: المكتب الإسلامي.

٣ – ابن حجر العسقلاني (١٤١٢هـ). الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: علي البجاوي. بيروت: دار الجليل.

٤ – ابن حجر العسقلاني (١٩٨٤). تهذيب التهذيب. بيروت: دار الفكر.

٥ – ابن عطاء الله السكندري (١٩٨٥). حكم بن عطاء الله السكندري. تحقيق: عبد الحليم محمود. القاهرة: مؤسسة دار الشعب.

٦ – ابن قيم الجوزية (١٩٧٣). إعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. بيروت: دار الجليل.

٧ – ابن قيم الجوزية (١٩٧٣). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. بيروت: دار الكتاب العربي.

٨ – ابن قيم الجوزية (٢٠٠٢). الروح. تحقيق: عصام الدين الصبابطي. القاهرة: دار الحديث.

٩ – ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (١٤٠٤هـ). سنن ابن ماجه. شركة الطباعة العربية السعودية.

١٠ –ابن منظور (د ت). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

١١ –أبو الوفا التفتازاني (د ت). ابن عطاء الله السكندري وتصوفه. (ط٣). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

١٢ -أبو حامد الغزالي (١٩٦٢). المنقذ من الضلال. (ط٣). تحقيق: عبد الحليم محمود. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

١٣ -أبو حامد الغزالي (١٩٩٩). إحياء علوم الدين. القاهرة: دار الفجر.

١٤ -أبو طالب المكي (١٩٩١). قوت القلوب. تحقيق: عبد المنعم الحفني. القاهرة: دار الرشاد.

١٥ -أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (١٩٨٠). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. (ط٣). بيروت: دار الكتاب العربي.

١٦ -أحمد بن تيمية (٢٠٠٦). شرح العقيدة الأصفهانية.تحقيق: مصطفى عبد الهادي. القاهرة: مكتبة بن تيمية.

١٧ -أحمد بن حنبل الشيباني (١٤٠٣هـ). المسند وبهامشه منتخب كنز العمال. بيروت: المكتب الإسلامي.

١٨ -أحمد بن حنبل الشيباني (١٩٩٢). الزهد. (ط٢). القاهرة: دار الريان للتراث.

١٩ -أحمد بن عبد الله الحاكم (١٤١١هـ). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٠ -أحمد بن علي الخطيب البغدادي (د ت) تاريخ بغداد. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢١ -أحمد بن محمد العدوي الدردير (د ت). شرح الخريدة البهية. تحقيق: عبد السلام شنار.

٢٢ -أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (١٩٦٨). وفيات الأعيان وأنباء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. دار الثقافة.

٢٣ -أحمد عبد الحليم الحراني بن تيمية (١٤٠٨هـ). الفتاوى الكبرى. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٤ -أحمد عبد الحليم الحراني بن تيمية (د ت). الفرقان بين أولياء الرحمن وأوليء الشيطان. القاهرة: المكتبة الأزهرية.

٢٥ -أنور الجندي (د ت). أعلام القرن الرابع عشر الهجري. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٦ -البخاري (١٤١٨هـ). صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري. الرياض: مكتبة دار السلام.

٢٧ -تاج الدين السبكي (د ت). طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

٢٨ -الترمذي أبي عيسى بن سورة (د ت). الجامع الصحيح. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٩ -الجرجاني (١٩٨٣). التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٠ -جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٢٠٠٣). تنوي الحلك في جواز رؤية النبي والملك. القاهرة: دار جوامع الكلم.

٣١ -جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي (١٩٨٥). صفة الصفوة. (ط٣). تحقيق: محمود فاخوري ومحمد قلعجي. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

٣٢ -جوزيبي سكاتولين وأحمد حسن أنور (٢٠١٢). التجليات الروحية في الإسلام: نصوص صوفية عبر التاريخ. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٣ -حاجي خليفة (١٩٨٢). كشف الظنون. دار الفكر.

٣٤ -الزركلي (١٩٨٤). الأعلام. (ط٦). بيروت: دار العلم للملايين.

٣٥ -زكي محمد ابو سريع (١٩٩٧). الروض النضر في لقاء الكليم بالخضر.

٣٦ -السراج الطوسي (١٩٦٠). اللمع. تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الرءوف سعد. القاهرة: دار الكتب الحديثة.

٣٧ -سعيد أبو العنين (١٩٩٧). الشعراوي: أنا من سلالة أهل البيت. (ط٤). القاهرة: دار أخبار اليوم.

٣٨ -السهروردي (٢٠٠٥). عوارف المعارف. القاهرة: مكتبة الإيمان.

٣٩ -شحات محمود الصاوي (٢٠٠٨). التصوف الصحيح المستنير كما بينه الإمام محمد زكي الدين إبراهيم. بدون دار نشر.

٤٠ -شوقي أبو خليل (٢٠٠٥). أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة. (ط٤). دمشق: دار الفكر.

٤١ -عبد الحليم محمود (٢٠٠١). أبو البركات سيدي أحمد الدردير. القاهرة: دار المعارف.

٤٢ -عبد الحميد محمد ندا (١٩٩٦). المدخل إلى التفسير. القاهرة: مكتبة الزهراء.

٤٣ -عبد الحميد محمد ندا (١٩٩٧). سورة الصلاة بين المفسرين والمحدثين والفقهاء. القاهرة: مكتبة الزهراء.

٤٤ -عبد الرحمن محمد بن خلدون (٢٠٠٦). مقدمة بن خلدون. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤٥ -عبد العزيز سوكارنوادي (٢٠١١). الردود المرضية على منكري السادة الصوفية. رسالة ماجستير منشورة.

٤٦ -عبد القادر الجيلاني (٢٠٠٨). سر الأسرار ومظهر الأنوار. تحقيق: عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

٤٧ -عبد الكريم بن هوازن القشيري (د ت). الرسالة القشيرية. تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود الشريف. القاهرة: دار الكتب الحديثة.

٤٨ -عبد الله بن محمد احمد القرطبي (٢٠٠٣). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: هشام البخاري. الرياض: دار عالم الكتب.

٤٩ -عبد الوهاب خلاف (د ت). علم أصول الفقه. القاهرة: مكتبة الدعوة الإسلامية.

٥٠ -علي أحمد الخطيب (٢٠١٣). صبية صحابة وصبايا صحابيات. مجلة الأزهر. عدد جمادى الآخرة ١٩٣٤هـ.

٥١ -عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير (١٩٨٨). تفسير القرآن العظيم. القاهرة: دار الريان للتراث.

٥٢ -عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي (١٩٩٠). البادية والنهاية. (ط٢). القاهرة: دار الغد العربي.

٥٣ -القاضي عياض (٢٠٠٢). الشفا بتعريف حقوق المصطفى. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. القاهرة: مكتبة الصفا.

٥٤ -محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (١٤١٣هـ). سير أعلام النبلاء. (ط٩). مؤسسة الرسالة.

٥٥ -محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي (د ت). طبقات الصوفية.

٥٦ -محمد بن سعد (١٣٩٨هـ). الطبقات الكبرى. تحقيق: إحسان عباس. بيروت.

٥٧ -محمد زكي إبراهيم (٢٠٠٥). أصول الوصول. (ط٥). مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية.

٥٨ -محمد سيد سلطان (٢٠١١). كشف اللثام عن تصوف المظلل بالغمام. القاهرة: دار جوامع الكلم.

٥٩ -محمد عبد الحليم (٢٠٠٢). مناقب الصاوي. بدون دار نشر.

٦٠ -محمد غالب بركات (٢٠٠٩). ثمرات العلوم. دمشق: دار نينوى.

٦١ -محمد غالب بركات (٢٠١١). الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام. القاهرة: دار الأفاق العربية.

٦٢ -محمد فؤاد عبد الباقي (١٩٩٦). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الحديث.

٦٣ -محمد مصطفى حلمي (١٩٨٤). الحياة الروحية في الإسلام. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦٤ -محمود الألوسي (١٩٩٤). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار الكتب العلمية.

٦٥ -مسلم بن الحجاج بن مسلم (١٩٩٤). صحيح مسلم بشرح النووي. القاهرة: دار الحديث.

٦٦ -مصطفى حلمي (١٩٨٤). قواعد المنهج السلفي. (ط٢). الإسكندرية: دار الدعوة.

٦٧ -النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (د ت). سنن النسائي بشرح السيوطي. بيروت: دار الكتاب العربي.

٦٨ -نور الدين بن أبي بكر الهيثمي (١٤١٢هـ). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. بيروت: دار الفكر.

٦٩ -ياسين رشدي (١٩٩٣). التصوف ما له وما عليه. القاهرة: دار نهضة مصر.

٧٠ -يوسف القرضاوي (١٩٩٣). العبادة في الإسلام. بيروت: مؤسسة الرسالة.

النشاط العلمي للمؤلف

- العلاج بالمعنى (في) نبيل عبد الفتاح حافظ (محرر): العلاج النفسي بين النظرية والتطبيق. كلية التربية، جامعة عين شمس ٢٠٠٧
- تحقيق مخطوط إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم. القاهرة: دار الآفاق العربية ٢٠٠٩ (بالاشتراك).
- تحقيق مخطوط الكلمات المائة للإمام علي رضي الله عنه. القاهرة: دار الآفاق العربية ٢٠٠٩ (بالاشتراك).
- تحقيق مخطوط ثمرات العلوم لأبي حيان التوحيدي. دمشق: دار نينوى للنشر والتوزيع ٢٠٠٩ (بالاشتراك).
- الفِرق والمذاهب في الرسالات الثلاث: دراسة مقارنة. القاهرة: دار الآفاق العربية ٢٠١١
- قلق الموت في ظل الإرهاب الصهيوني: فلسطين نموذجاً–دراسة نفسية تاريخية. القاهرة: دار الآفاق العربية ٢٠١١

تحت الطبع:

- سيكولوجية الثورة: ٢٥ يناير نموذجاً ومجالاً.
- إدمان القِمار: دراسة ميدانية.
- قراءة نفسية في الأمثال الشعبية.